مُختَصُر إِظهَارِ العَقِيدَة السُنّيَّة
بِشَرح العَقِيدَة الطَّحَاوِيَة

اختَصَرهُ وضَبَطَ المَتنَ وبَوّبَه
ومَهّدَ لَهُ بتَعرِيفٍ مُفَصَل للشّارِح
وَوضَعَ المُقَدِماتِ وعَلّقَ عَلَيهِ

الدكتور/ حَرَسِي مُحمّد هَيلُولَه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

قصتي مع هذا الكتاب

كنت طالبا في الجامعة الأردنية عام 1987م فقال لي أحد زملائي: "إن الشيخ عبد الله الهرري عالم من منطقة القرن الإفريقي وصل إلى عمّان وقد طلب الشيخ الألباني لقاءه فلم يوافق الهرري على طلبه، وهو يقيم الآن في أحد الفنادق في عمّان، فحبذا لو زرناه لنتعرف عليه" فرحبت وتحمست لرأيه هذا، لكننا لم نستطع أن نلتقي بالشيخ الهرري لانشغالنا في الدراسة. ثم تخرجت من الجامعة أوائل عام 1991م وفي هذا العام انهارت الحكومة في الصومال، بلدي الأصلي، وكانت الحرب الخليجية الأولى قد أسدلت بظلالها منطقة الشرق الأوسط فسافرت على عجل إلى مصر ثم إلى ماليزيا، وكان لي أصدقاء من جنوب شرقي آسيا درسنا معا في الجامعة الأردنية فرحبوا بي في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا وأخبروني أن الجامعة بحاجة إلى مدرس للدراسات الإسلامية في المعهد التمهيدي وشجعوني تقديم طلب لهذه الوظيفة، والحمد لله أنني وفقت واخترت من بين جميع المتقدمين للوظيفة بعد المقابلات من قبل الجامعة، وبدأت العمل في الجامعة على الفور.

بعد عامين تقريبا وذلك منتصف عام 1993م قمت بزيارة لعمي الذي كان سفير الصومال في دمشق لأجدد جواز سفري المنتهية صلاحيته، فأقمت ليالي عنده في بيته، فقال لي: "هناك شيخ من بلدياتنا في بيروت، وهو عالم كبير، وله تلاميذ كثر، يود أن يكون من بين تلامذته شخص من بلدياته يتعلم العلم الشرعي منه، فإن كانت لديك رغبة في طلب العلم الشرعي اقترح عليك أن تلتحق بهذا الشيخ الجليل وأنا مستعد أن آخذك إليه وهو صديق لي وهو شيخي أقيم في بيته أثناء زياراتي للبنان. فاعتذرت لعمي وقلت له: والله أنا أحب ذلك لكني مرتبط بأمور أخرى لا تسمح لي أن أتفرغ لطلب

العلم الآن. فلما سمع كلامي وأيقن أنني لن أستطيع تلبية طلبه أهدى لي مجموعة من كتب الشيخ عبد الله الهرري من بينها "كتاب إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية" وكتاب "المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد ابن تيمية".

أخذت الكتب وعدت إلى ماليزيا، ولكنني بما أني كنت مشغولا في التدريس وتحضير رسالة لنيل درجة الماجستير لم أجد وقتا لقراءة الكتب فاحتفظت بها. ثم أنهيت دراسة الماجستير منتصف عام 1996م وفي هذا العام حصلت على عقد عمل من سلطنة بروناي فعملت في بروناي ست سنوات وفي هذه الفترة أكملت دراسة الدكتورة.

انتهى عقدي مع سلطنة بروناي منتصف عام 2002م ومازلت أحتفظ بكتب الشيخ عبد الله الهرري ولم أقراها بعد. حصلت على عقد عمل من جامعة العلوم الإسلامية في ماليزيا في منتصف عام 2002م وعينت أستاذا معيدا في كلية الدعوة وفي هذا العام سخر لي ربي بعض الوقت لقراءة كتب الشيخ عبد الله، فقرأت رده على ابن تيمية وشرحه للعقيدة الطحاوية فوجدت نقده لابن تيمية مكتوبا بلغة سهلة وسلسة بينما شرحه للطحاوية كان بلغة صعبة وعصية على طلبة العلم، استخدم الشيخ فيه الكثير من مصطلحات المتكلمين القدماء. قرأت شرحه للطحاوية أكثر من مرة فأحببت أن أقربه إلى طلبة العلم عن طريق حذف مصطلحات المتكلمين الصعبة وإبقاء شرح الشيخ للمسائل العقدية وتبسيط ما لا يمكن الاستغناء عنه. ومما زاد صعوبة الكتاب أنه لم يكن له عناوين داخلية ولم يكن مبوبا ولم تكن له فهارس فأصبح صعبا ومملا جدا على الطالب المبتدئ.

اطلعت اثناء دراستي في كلية الشريعة في الأردن على شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، وكان هناك جدال حول هذا الكتاب بين السلفيين وخصومهم فلم اطمئن إليه وكنت أحب أن أرى شرحا جيدا للطحاوية على مذهب متكلمي أهل السنة. لم أتمكن من اللقاء بالشيخ عبد الله الهرري للأسف، لكني قرأت مجموعة لا بأس بها من

مؤلفاته منها شرحه للطحاوية فأعجبت به واطمأنت إليه نفسي وأحببت أن اختصره فأقربه إلى طلبة العلم وهذه هي قصتي مع الكتاب فالحمد لله الذي وفقني ويسر لي فله الشكر والمنة وهو حسبي ونعم الوكيل.

عملنا في الكتاب

1. وضعنا مقدمة للكتاب بينا فيها الدواعي التي جعلتنا نقوم بهذا العمل.
2. وضعنا فهرسة لمواضيع الكتاب لتسهيل معرفة محتواه لطلبة العلم.
3. جعلت للكتاب تمهيدا فصلت القول فيه ترجمة الشيخ عبد الله الهرري ومنهجه وطرفا من تاريخ موطنه.
4. جعلت للكتاب عناوين داخلية لئلا يكون مملا على طالب العلم المبتدئ.
5. فصلت متن كتاب الطحاوي من الشرح بخط مختلف وبحجم كبير.
6. ضبطت نص متن الطحاوي لتسهل قراءته لطالب العلم.
7. وضعت بعض التعليقات في الهامش كلما دعت إله الحاجة لتوضيح شرح الشيخ.
8. وضعنا في نهاية الكتاب قائمة للمصادر والمراجع.

كوالالمبور 2004م

الفهرس

ترجمة العلامة أبي جعفر الطحاوي

هو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم بن سليمان بن جناب الأَزْديُّ الحَجْريُّ المصري أبو جعفر. كان ثقة نبيلا فقيها إماما، ولد سنة سبع وعشرين ومائتين وقيل تسع وعشرين ومائتين وقيل تسع وثلاثين ومائتين، ومات سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، صحب المزني وتفقه به، ثم ترك مذهبه وصار حنفي المذهب، تفقه على أبي جعفر أحمد بن أبي عمران موسى بن عيسى، وخرج إلى الشام فلقي بها أبا خازم عبد الحميد بن جعفر فتفقه عليه وسمع منه.

وله كتاب أحكام القرآن يزيد على عشرين جزءا، وكتاب معاني الآثار، وبيان مشكل الآثار، والمختصر في الفقه، وشرح الجامع الكبير، والشروط الصغير، والشروط الأوسط، وله المحاضر والسجلات والوصايا والفرائض، وكتاب نقض كتاب المدلسين على الكرابيسي، وله كتاب تاريخ كبير، ومناقب أبي حنيفة، وله في القرآن ألف ورقة، وله النوادر الفقهية عشرة أجزاء، والنوادر والحكايات تنيف على عشرين جزءا، وحكم أراضي مكة وقسمة الفيء والغنائم، وكتاب الرد على عيسى بن أبان، وكتاب الرد على أبي عبيدة، وكتاب اختلاف الروايات على مذهب الكوفيين.

وللطحاوي من المصنفات أيضا: كتاب اختلاف الفقهاء والعقيدة المشهورة، قال ابن يونس: كان الطحاوي ثقة ثبتا فقيها عارفا، لم يخلف مثله، وقال ابن عبد البر في كتاب العلم: كان من أعلم الناس بسير الكوفيين وأخبارهم مع مشاركته في جميع مذاهب الفقهاء. وروي عنه ابن مظفر الحافظ، والحافظ أبو القاسم الطبراني، وأبو بكر بن المقرئ، وآخرون.

قال ابن يونس توفي مستهل ذي القعدة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وفيها أرخه مَسْلَمَة بن قاسم وخالفهما محمد بن إسحاق النديم في الفهرست فقال: سنة اثنتين وعشرين، وقد بلغ الثمانين.

تمهـيد

العَلاَّمَةُ عَبْدُ الله الـهَرَرِي وَجُهُوْدُهُ فِي الدَّعْوَة

الدكتور حرسي محمد هيلوله

جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا

اسمه ونسبه

هو العلاّمة المحدّث أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن جامع الهروي الشيبي العبدري. ولد في مدينة هرر حوالي سنة 1339هـ/1920م.

نشأ لأسرة معروفة بحب العلم ونشره ويتضح ذلك من تسمية جده الثالث بـ"جامع" وهو اسم يلقبه المسلمون الصوماليون بالرجل الذي يجمع العلوم الكثيرة أو الملازم للمسجد لغرض التعلم أو التعليم أو الخدمة العامة للمسلمين.

حفظ القرآن في الصغر ثم درس الفقه ومختلف العلوم الشرعية وحفظ متونها على يد أبيه، ثم تخرج على أيدي جمع غفير من مشاهير علماء موطنه وغيرهم من علماء الحجاز والشام[1].

نبذة قصيرة عن تاريخ موطنه

موطنه إمارة هرر وهي الآن ضمن الآراضي الصومالية التي اقتطعها الاستعمار

[1] الهرري، عبد الله، إظهار العقيدة السنية، ص7

البريطاني لإثيوبيا أو المنطقة المعروفة بـ"أوغادين". وكانت إمارة هرر تابعة لسلطنة عدل الإسلامية التي يسميها الصوماليون (أَوْدَلْ – وهي محافظة من محافظات الصومال الحديث) ابتداء من عام 818هـ/1415م. وكانت عاصمتها مدينة (دَكَرْ) الواقعة جنوب شرقي هرر، وامتد حدودها شرقا حتى رَأْسَ غَرْدَفُوْيْ[2]، وكانت تشمل ما يعرف الآن بالصومال البريطاني وجيبوتي وإمارة هرر.

لكن لم تعمر سلطنة عدل (أَوْدَلْ) طويلا وذلك بسبب الخلافات المذهبية والطبقية التي قسمت مجتمع السلطنة إلى حزبين، حزب ديني يتزعمه الأمراء المتحمسون لرفع راية الجهاد لمواجهة الغزو الصليبي الحبشي والأوروبي، والحزب المحافظ الذي كان يمثله التجار وسلاطين عدل الذين كانوا يميلون إلى المسالمة والمهادنة مع ملوك الحبشة الصليبيين.

ومن هنا أصبحت إمارة هرر مركزا لهؤلاء الأئمة المجاهدين وظهر دورها القيادي ابتداء من عام 848هـ/1444م، ثم أصبحت عاصمة للأمراء المجاهدين عام 927هـ/1520م[3]، وكان الإمام عثمان حاكم زيلع أول من أعلن الجهاد ضد الحبشة، ثم ظهر في هرر الأمير محفوظ، ومحاولات هذين الإمامين لإحياء حركة الجهاد – وإن لم تنجح كثيرا بسبب ظهور البرتغاليين على مسرح الأحداث واستيلائهم على المناطق الساحلية كزيلع وبربره– إلا أنها مهدت الطريق لظهور الإمام المجاهد الكبير الإمام أحمد جُرَايْ الصومالي، وهو زوج ابنة الأمير محفوظ أمير هرر الذي قتل في احدى الغزوات.

---

[2] "رأس غردفوي" منطقة ساحلية تقع شمال شرقي الصومال الحالي.

[3] عرب فقيه، تحفة الزمان، طبعة الإيسيكو، ص25

استمرت غزوات الإمام أحمد أكثر من خمسة عشر عاما، أي ما بين 934هـ/1527م و949هـ/1542م تقريبا. وقد سجل لنا تفاصيل غزواته المؤرخ الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن سالم بن عثمان الجيزاني المعروف بـ"عرب فقيه" في كتابه "تحفة الزمان" الذي عاصر الإمام.

أدى تدخل البرتغاليين على مسرح الأحداث وتحالفهم مع ملوك الحبشة إلى اخماد حركة الجهاد التي قادها أمراء هرر، وذلك بعد مقتل الإمام أحمد في احدى المعارك، وسقوط عدد من الإمارات الإسلامية في يد الأحباش والبرتغاليين، ونتج من غزوات هذا الإمام أمور ثلاثة:

1. مجيء الجيوش البرتغالية الصليبية لمنطقة شرقي إفريقيا لحماية نصارى الحبشة ولتقويض المسلمين.
2. ظهور قوة جديدة في المسرح الإثيوبي هي قوة الأورومو[4] "الجالا" وهي التي مثلث القوة الإسلامية في المنطقة بعد سقوط سلطنة عدل.
3. دخول معظم سكان إثيوبيا في الإسلام، ولولا تدخل البرتغاليين لاختفت إثيوبيا المسيحية.[5]

دخلت هرر مرحلة فوضي ما بين عامي 1585م إلى 1647م، وذلك بسبب غزوات قبائل الجالا لهذه المنطقة، ثم استولى على حكم هرر الأمير علي بن داوود من سلالة أمراء هرر السابقين، ثم توالت حتى دخلت القوات

[4] كانت قبائل الأرمو من خيرة قوات الإمام أحمد.
[5] الدكتور حسن مكي، السياسات الثقافية في الصومال الكبير، ص26

المصرية هرر عام 1875م[6].

بقيت هرر تحت الحكم المصري حتى عام 1884م في عهد الحكومة الخديوية، حيث أعلنت الصحف المصرية إخلاء هرر استجابة لضغوط الحكومة البريطانية في النصف الثاني من شهر أغسطس 1884م[7]، ومن ذلك الوقت دخلت هرر وجميع المدن الإسلامية تحت نفوذ القوى الاستعمارية الأوربية بالإضافة إلى مملكة الحبشة.

تم تسليم هرر إلى الأمير عبد الله على بن محمد بعد انسحاب المصريين، فأصبحت مجالا للتنافس بين الطلائع الأوربية ولاسيما إيطاليا وبريطانيا والحبشة، وبدأت حركات التبشير تنتشر في ربوع هرر مما دفع أمير هرر الغيور على دينه إلى القضاء عليهم، فانتهز ملك الحبشة هذه الفرصة وسابق الأوربيين بجيوشه إلى هرر تحت ستار الثأر لمقتل المسيحيين، واستطاع الجيش الإثيوبي الاستيلاء على هرر بقيادة الرأس ماكونين والد الإمبراطور هيلاسيلاسي، وهرب الأمير عبد الشكور ورجاله إلى أغادين وذلك في 7 يناير 1887م[8].

أذن الملك منيلك لجيشه استباحة المدينة فأمعنوا في قتل المسلمين وهدم المساجد، حتى قيل إنهم هدموا تسعة وتسعين مسجدا، وحولوا بعضها إلى كنائس مما أدى إلى تشريد سكان المدينة المسلمين، وهجرة جماعية لبعض

---

[6] الدكتور حسن مكي، المصدر السابق، ص27

[7] الدكتور جلال يحي، التنافس الدولي في بلاد الصومال، ص106، 126

[8] الدكتور حسن مكي، السياسات الثقافية في الصومال الكبير، ص31

قبائل الصومال حيث لجأوا إلى منطقة عدل "أودل" والمناطق الداخلية المعروفة الآن بـ"هود"، وجاءت الاستجابة الإسلامية لسقوط هرر على يد المجاهد الشيخ السيد محمد عبد الله حسن الذي حارب الاستعمار الحبشي والإنجليز والإيطالي قرابة ربع قرن أي ما بين 1899م إلى1920م.

حالة هرر ما بين عامي 1921م و1960م

كانت وفاة السيد محمد عبد الله حسن 1920م في إيمي داخل منطقة أوغادين تعد نهاية لحركة المقاومة الصومالية للقوات الاستعمارية، ومع أن البريطانيين هم الذين قضوا على مجاهدي الدراويش بعد قصف قاعدتهم الرئيسية بالطائرات سنة 1920م، فإن المستفيد الأول كان ملك الحبشة منليك الذي سارع للاستيلاء على جميع مناطق أغادين وبسط نفوذه عليها عام1923م، ثم وقعت إثيوبيا اتفاقية مع بريطانيا في شأن البلاد الإسلامية التي استولت عليها وكان بموجب هذه الاتفاقية التي وقعت إثيوبيا مع بريطانيا عام1944م، أن تترك سيادة البلاد الإسلامية لإثيوبيا وكانت تضم المناطق التالية[9]:

1. هرر وملحقاتها.
2. المنطقة الوسطى وهي الأراضي الرعوية التي يعيش فيها رعاة الجمال الصوماليون وتقع بين هرر وهرجيسا وتعرف بـ"هود".
3. المنطقة الجنوبية المعروفة بأُوغَادِين.

أصبحت هرر بحكم الواقع وبموجب الاتفاقية الإثيوبية البريطانية تابعة لمملكة الحبشة، لكن المسلمين في هرر وما حولها لم يفقدوا الأمل في توحيد بلادهم

[9] الدكتور حسن مكي، السياسيات الثقافية في الصومال الكبير، ص 100

تحت شعار "جمهورية الصومال" التي كانت في طريقها إلى الاستقلال، وكانت بريطانيا تطمع في أن تجعل جميع بلاد الصومال تحت حكومة واحدة تحت شعار "الصومال الكبير"، واقترحت فعلا على الصوماليين أن ينضموا إلى عصبة "كمونولث" بعد الاستقلال لكن الإيطاليين نجحوا في افشال خطة الإنجليز عن طريق ارسال بعض الزعماء السياسيين الصوماليين إلى مكتب الأمم المتحدة ليعلنوا هناك رفضهم للخطة البريطانية.

دور شباب هرر المسلم في تحرير البلاد

كان للشباب المسلم في هرر دور ريادي في النشاط السياسي الهادف إلى تحرير البلاد من الاستعمار الحبشي والأوربي وضمه إلى بقية بلاد مسلمي الصومال، ولا شك في أن الشيخ عبد الله الهرري كان بين هؤلاء الشبان، بل في مقدمتهم، فقد ولد في هرر ما بين 1910م إلى 1920م فيكون قد بلغ من العمر سنة 1943م ما بين 24 إلى 30 عاما، وهي السنة التي فتحها حزب وحدة الشباب الصومالي مكتبا له في هرر، وذلك لوجود عدد كبير من الشباب المسلم المؤيدين لسياسته في هرر، ومن الممكن أن نلخص نشاط شباب هرر المسلم بقيادة الشيخ عبد الله الهرري وأمثاله فيما يلي:

1. رفض تسليم بلادهم إلى مملكة الحبشة ومطالبة إلحاقه ببقية بلاد مسلمي الصومال، وذلك بتسليمهم مذكرة للإدارة العسكرية الإنجليزية.
2. قيادة الثورات الشعبية داخل البلاد تعبيرا عن رفضهم لضم بلادهم إلى الحبشة، وقد وقعت فعلا اضطرابات في جيكجيكا وهرر وغيرهما من المناطق الإسلامية.

3. تشجيع شيوخ القبائل كشيوخ قبائل أوغادين وكدبيرسي لرفض الحكم الإثيوبي، وسلم شيوخ قبائل أوغادين مذكرة إلى الحاكم البريطاني أعلنوا فيه رفضهم لضم بلادهم إلى الحبشة، ومثل ذلك فعل شيوخ قبيلة كدبيرسي بالرغم من أن حكومة إثيوبيا أغدغت عليهم بالهدايا والمنح.

4. إرسال وفد إلى البلاد العربية للحصول على الدعم السياسي اللازم، وفعلا أرسلوا وفدا إلى اليمن والحجاز ومصر، إلا أن ملك الحبشة اتصل بحكومة مصر وأقنعها بالتخلي عن مساعدتها للمسلمين في هرر خاصة وفي الصومال بشكل عام وعدم الترويج لقضية الصومال الكبير، وقد وافقت مصر على هذا المطلب حيث أوقفت الدعوة للقومية الصومالية من إذاعة صوت العرب، ورفضت تلبية مطالب وفد علماء هرر.

سياسة الإمبراطور هيلاسيلاسي في هرر

بعد نجاح سياسة الإمبراطور الهادفة إلى اقتطاع منطقة هرر وأوغادين وضمها إلى الحبشة، وافشال فكرة الصومال الكبير، كان من المتوقع أن يواجه الدعاة وعلماء هرر مرحلة عصيبة، وذلك بسبب الإجراءات الجديدة التي اتخذتها حكومة الإمبراطور وأهمها[10]:

1. تولى الإمبراطور بنفسه إدارة المناطق الإسلامية وعلى رأسها هرر وعين ابنه حاكما عليها.

2. اتبع الإمبراطور سياسة مزدوجة حيث قام بطرد واعتقال وسجن العلماء

[10] الدكتور حسن مكي، السياسات الثقافية في الصومال الكبير، ص100-106

والمثقفين وبدأ يتقرب بالحسنى لشيوخ القبائل البدوية.

3. اتخذ سياسة لبرالية موهومة في هرر سنة 1960م وذلك لاستيعاب الجو السياسي العام في المنطقة بحيث أخذت بقية مناطق مسلمي الصومال استقلالها في هذا العام نفسه.
4. إقامة المستوطنات الزراعية وتهجير نصارى الهضبة إلى مناطق المسلمين.
5. طرد القبائل الرعوية المسلمة إلى داخل بلاد جمهورية الصومال الحديثة.
6. تشجيع الإرساليات الكنسية على ارتياد مناطق هرر والأوغادين وبناء الكنائس والمدارس.
7. إقامة مؤسسات تعليمية حكومية محدودة على أساس اللغة الأمهرية والإنجليزية والفرنسية وذلك لتخريج صفوة صومالية مستلبة ثقافيا ولغويا ومغايرة في بنائها وطرائق تفكيرها للصفوة التقليدية الصومالية وهم شيوخ القبائل والزعامات الدينية.
8. اتباع سياسة فرق تسد، بافتعال المشاكل بين العفر والعيسى وبين الجالا والإدريين وبين مختلف فروع القبائل الصومالية حتى لا تتوحد شعوب القسم الإسلامي.
9. إغراق الشباب في النشاط الترفيهي، وتشجيع الدعارة، وتسويق القات والكحول.
10. ضرب سياج من العزلة على مناطق القسم الإسلامي.

دخلت هذه السياسة قيد التنفيذ منذ عام 1938م وهي السنة التي استولى هيلاسيلاسي على مقاليد الحكم، واستمرت على هذا الحال حتى نهاية فترة حكم الإمبراطور.

رحلة العلامة عبد الله الهرري إلى الحجاز والشام

الراجح أن رحلة الشيخ إلى الحجاز كانت بعد عام 1950م وذلك أنه لم يرد ذكر لخروج الدعاة أو العلماء من هذه المنطقة قبل هذا الوقت إلا قليلا كالشيخ محمد بن عبد الله المحدث الصومالي 1909-1999م الذي خرج من هرر بفترة مبكرة ووصل مكة سنة 1939م تقريبا. إذ كانت عمليات المقاومة وحركة التحرير تجري على قدم وساق، فلم تكن الأحوال السياسية والأمنية تسمح الخروج من البلاد والسفر إلى الخارج سواء أكانت لغرض طلب العلم أو لأداء فريضة الحج، ونحن نعلم أن العلامة الهري كان في مقدمة العلماء والشباب الذين شاركوا في حركة التحرير.

لكن بالرغم من ذلك فإن بعض الكتب تشير إلى أنه وصل بيروت سنة 1950م فإذا سلمنا ما ورد في مقدمة كتاب "التعقب الحثيث" فقد يعني ذلك بعد هذا العام بقليل، والله أعلم.

ومهما يكن من أمر فإن الرحلة الأولى من رحلات العلامة عبد الله الهرري كانت إلى بلاد الحجاز، فقدم مكة وتعرف على علمائها كالشيخ السيد علوي المالكي، والشيخ أمين الكتبي، والشيخ محمد ياسين الفاداني، والشيخ محمد العربي التبّان والشيخ عبد الغفور الأفغاني فأخذ عنه الطريقة النقشبندية.

ثم رحل إلى المدينة المنورة واتصل بعلمائها فأخذ الحديث عن علمائها وكان في مقدمتهم الشيخ المحدث محمد بن علي الصديقي البكري الهندي الحنفي وأجازه، ثم عكف على دراسة المخطوطات في مكتبة عارف حكمت والمكتبة المحمودية، وبقي في المدينة سنة.

رحل الشيخ الهرري من المدينة إلى بيت المقدس ثم انتقل إلى دمشق، ثم تنقل بلاد الشام بين دمشق وحمص وحماه وحلب فجلس في جامع القطاط للتدريس فأخذ عنه مشايخ الشام واشتهر وذاع صيته حتى عرف "بمحدث الديار الشامية". ثم قدم بيروت واستقر فيها واجتمع بعلمائها وشيوخها، ودرس العلوم الشرعية فيها وألقي محاضرا في العقيدة في المدارس الدينية الأزهرية بطلب من مديرية الأزهر، وهو مازال مقيما هناك منقطعا إلى إصلاح عقائد الناس ومحاربة أهل البدع والأهواء[11].

قصة بعض الحاقدين على العلامة الهرري مع كلمة "كُلُب"

تبين لنا مما سبق أن إمارة هرر كانت معقل العلماء والأمراء المجاهدين، لكن يأبى الحاقدون على العلامة الهرري إلا أن يطلقوا علماء المسلمين ومجاهديهم بالفتانين، فقد ادعى أحدهم أن الشيخ عبد الله الهرري اشترك في فتنة كُلُب، حيث تعاون مع حكومة الحبشة ضد المسلمين في زعمه[12].

أقول كاتب هذه الرسالة إما جاهل، أو كاذب، أو جاهل وكاذب معا، وذلك أنه لا يعرف معنى "كُلُب"، فيتصور أنها جماعة كانت تتلقى الأوامر من قبل الحكومة الإثيوبية أو فرقة كانت تعمل لحساب ملك الحبشة ضد المسلمين! وحتى يكون القارئ على بصيرة من مغالطات هذا الكاتب دعونا نبين معنى كلمة "كُلُب".

---

[11] الهرري، عبد الله، التعقب الحثيث، ص6-8، وكذلك إظهار العقيدة السنية، لنفس المؤلف، ص7-12

[12] عبد الرحمن دمشقية، الحبشي شذوذه وأخطاؤه، ص7

ما المقصود من "كُلُب"؟

يقول عبد الله بوبي يوسف"*gulub*[13] أي "كُلُب" مأخوذ من "club" وهو لقب أطلقه الشماليون من أبناء الصومال على حزب "SYL" ويسميه الجنوبيون "*leego*" أي league[14]".

فكُلُب مأخوذ من الكلمة الإنجليزية "Club" وتعني بالعربية "النادي" فتبين أنها لا تعني "الفتنة".

وكان الصوماليون في المناطق الشمالية يطلقون هذا الاسم على "حزب وحدة الشباب" الذي تأسس في مقديشو عام 1943م إثر لقاء 13 شابا صوماليا تواعدوا على الصمود في وجه الدول الاستعمارية والعمل سويا من أجل تحرير البلاد، وعرف هؤلاء في الجنوب Somali Youth League، بينما كان الشماليون يسمونهم Somali Youth Club ثم اختصروا فقالوا "Club" أي "النادي"، كما بين ذلك بوبي يوسف، في كتابه "ديوان أشعار عبد الله سلطان".

وقد ورد هذا الاسم في قصيدة للشاعر عبد الله سلطان، وهو من مواليد منطقة عدل "أودل" التي هي من أعمال هرر، وهو كذلك معاصر للشيخ عبد الله الهرري، فقد ولد عبد الله سلطان سنة 1920م، ويقول في إحدى قصائده:

عندما اقترب النصر

قلتم كلكم نحن مع كُلُب[15]

---

[13] هكذا تكتب بالصومالية.
[14] بوبي يوسف، ديوان عبد الله سلطان (باللغة الصومالية)، أكاديمية العلوم والفنون، مقديشو 1983م، ص 113
[15] بوبي يوسف، المرجع السابق، ص29

يعني عندما اقترب موعد الاستقلال الذي جاهد من أجله حزب كُلُب زعمتم كلكم أنكم تابعون لكُلُب ومؤيدون له لتفوزوا بالشرف العظيم.

ويعلم كل من له مسحة في معرفة تاريخ المسلمين في القرن الإفريقي أن استقلال الصومال من الاستعمار جاء نتيجة لجهود شباب حركة كُلُب (SYL)، وقد ذكرنا فيما سبق أنه فتح مكتبا له في هرر في السنة التي فتح مكتبه في مقديشو نفسها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على العلاقة الوطيدة التي كانت بين الشباب المسلم في جميع أنحاء بلا الصومال.

بالإضافة إلى ذلك، فإن من البين بنفسه أنه لم يكن هناك أية علاقة بين حركة كُلُب ومملكة الحبشة، وأتحدى على كاتب رسالة "الحبشي" أن يذكر لنا مرجعا واحدا ذكر وجود علاقة بين حركة كُلُب وبين مملكة الحبشة، وكيف يكون ذلك وهما على طرفي نقيض، فحركة كُلُب كانت تجاهد من أجل تحرير بلاد الصومال تحت شعار "الصومال الكبير" وإثيوبيا كانت تسعى لضمّ أراضي مسلمي الصومال إلى مملكتها وذلك بمساعدة القوى الأوربية[16].

هذا هو الحزب الذي كان ينتمي إليه الشيخ عبد الله الهرري وقد أخبرني السيد حسن تري القائم بالأعمال في السفارة الصومالية في دمشق، أن

---

[16] أرجو من القارئ الكريم أن يراجع كتاب السياسات الثقافية في الصومال الكبير للدكتور حسن مكي، ليتأكد ما قلناه.

الشيخ الهرري كان من العلماء المجاهدين الذين شاركوا في تحرير هرر وبقية بلاد الصومال من الاستعمار[17].

أقول ليس العلامة الهرري ممن يتوقع أن يشاركوا في الفتن أو يتعاونوا مع أعداء الإسلام والمسلمين، أو يخلق فتنة بين المسلمين، بل الذين اشتهروا بهذه الأفاعيل الشنيعة هم هؤلاء الحاقدين، فهم الذين يخلقون الفتن بين المسلمين، وقد عرفوا بالفتانين بين المجتمعات الإسلامية في كل مكان، فهم يخلقون الفتن والخلافات أينما ذهبوا، ويحاولون أن يبعدوا هذا اللقب عن أنفسهم فصدق عليهم المثل العربي "رمتني بدائها فانسلخت".

فعلى القارئ المسلم العودة إلى المراجع الأصلية التي سجلت الوقائع التاريخية وجهاد المسلمين مع النصارى والقوى الغربية الاستعمارية في هذه المنطقة، وأن لا يغتر بأكاذيب المفترين على علماء المسلمين، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز "**ياءيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**"[18].

ومن المؤلفات الجيدة التي سجلت حركة الجهاد في هذه المنطقة بالتفصيل كتاب "فتوح الحبشة" للشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد القادر، ومنها "العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى" للدكتور رجب محمد، ومنها "السياسات الثقافية في الصومال

---

[17] أخبرني ذلك أثناء زيارتي له في بيته في دمشق 14 مارس 1993م.

[18] سورة الحجرات، الآية 6

الكبير" للدكتور حسن مكي، ومنها "المسلمون والاستعمار الأوربي لإفريقيا" للدكتور عبد الله عبد الرازق، ومنها "التنافس الدولي في بلاد الصومال" الدكتور جلال يحي، وغيرها.

منهجه في الدعوة

يقول الشيخ الهرري مبينا منهجه في الدعوة إلى الإسلام: "نحن فئة من المسلمين لا نتبع منهجا جديدا ولا فكرة مستحدثة منذ خمسين سنة ولا فكرة مستحدثة منذ مائتي سنة، ولا فكرة مستحدثة منذ ستمائة سنة: الأولى لسيد قطب وتقي الدين النبهاني، والثانية لمحمد بن عبد الوهاب، والثالثة لابن تيمية ومنها أخذ ابن عبد الوهاب بعض أفكاره، إنما نحن على المنهج الذي ينتسب إلية مئات الملايين من المسلمين، أشعرية شافعية، أشعرية من حيث العقيدة، وهي عقيدة مئات الملايين من المسلمين، ومن حيث الأحكام العملية نحن شافعية، والإمام الأشعري هو إمام أهل السنة الذي لخص عقيدة الصحابة والتابعين، كان في القرن الثالث الهجري وتوفي في أوائل القرن الرابع، ومذهب الشافعي مشهور مضى عليه ألف ومائتا سنة، ولا نستحل اغتيال رجال الحكومات لأجل أنهم يحكمون بالقانون، نحن بريؤون من هذه الفئة.

وأما مسألة بيان المكفرات في الألفاظ الكفرية نحن لا نحمل مذهبا جديدا إنما اتبعنا في ذلك أئمة من المذاهب الأربعة كما يقول الحافظ مرتضى الزبيدي في شرح إحياء علوم الدين: "فقد ألف أئمة من المذاهب الأربعة في

بيان الألفاظ الكفرية".

ولسنا مسخرين لدولة من الدول من أجل المدد المالي والله يعلم، ومن نسب إلينا غير ذلك فالله حسيبه"[19]. ومن هنا يتبين أن منهجه في الدعوة يعمل وفق منهج أهل السنة والجماعة كما لخص ذلك بعض تلاميذه في بعض منشورات جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية وهي[20]:

1. نشر العلم الديني الصحيح على مذهب أهل السنة والجماعة بمختلف الوسائل بالحكمة والموعظة الحسنة، والاهتمام ببناء المساجد والمصليات وترميم ما تصدع وتهدم منها.
2. الدعوة إلى الاعتدال منهجا وسلوكا ومحاربة التطرف والغلو في الدين.
3. تنقية المجتمع مما دخله من فكر شاذ وأباطيل شائعة.
4. تقويم النفس والأسرة والمجتمع، والدعوة إلى الأخلاق والمحبة في الله والعمل بطاعته.
5. نشر الثقافة العصرية والعلوم الكونية النافعة، وإنشاء المدارس، والمعاهد والجامعات.
6. إعداد الدراسات العلمية الرصينة، عن حاجات المسلمين وأوضاعهم ومشاكلهم.
7. خدمة التراث الإسلامي المخطوط بالطباعة والنشر والتحقيق.
8. التعاون لما فيه خير الوطن والمواطن، عبر الانفتاح المثمر والتعامل المفيد مع الشخصيات والهيئات والمؤسسات المختلفة.

---

[19] منشور جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية، ص28، ومقدمة كتاب تحذير المؤمنين من فتن المفترين، ص6-7

[20] جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية، المرجع السابق، ص29

9. إحياء المناسبات الدينية بأسلوب راق وجذاب لما فيها من المعاني العظيمة.
10. إنشاء المؤسسات الإعلامية لنشر الأهداف السامية والتعاليم الراقية.
11. الاهتمام بالشأن الاجتماعي والصحي، والعمل الشبابي والكشفي والرياضي، لما فيه من حفظ وحماية للناشئة والأجيال الصاعدة وتأهيل لهم، ليقوموا بالدور المطلوب منهم.
12. الاهتمام بالعمل النسائي، وتوظيف الطاقات النسائية في شتى الحقول والمجالات المطلوبة.

منهجه في العقيدة

وهو منهج أهل السنة والجماعة كما قرره أئمة أهل السنة في العقيدة والتوحيد وبالطريقة التي لخصها ورتبها الشيخ أبو الحسن الأشعري، وقد بين العلامة الهرري مذهبه في أصول الدين في كتابه القيم "إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية"[21]، وغيره من المصنفات ك "الصراط المستقيم في التوحيد" و"الدليل القويم على الصراط المستقيم في التوحيد" " ومختصر الهرري الكافل بعلم الدين الضروري" وغيرها. ومن أهم القضايا التي تناولت دراساته في تصحيح العقيدة والرد على المبتدعة ما يلي:

[21] نشرته دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة 1997م

أ. رده على القائلين بالخلق المستمر

وقد ردّ الشيخ الهرري القائلين إن الله يحدث في ذاته إرادات في الأزل والأبد وكلاما في الأزل والأبد كابن تيمية، قائلا "فالحاصل أن الله تعالى أزلي وصفاته أزلية لا ابتداء لوجودها بأزلية الذات، ولا يزال أبديا ولا تزال صفاته أبدية بأبدية الذات، فالقائل بأن الله تعالى يحدث في ذاته إرادات في الأزل والأبد وكلاما في الأزل والأبد على التعاقب يحدث بعضها بعد بعض، فإن أراد بذلك أنه يحدث الشيء في ذاته بفعله وبخلقه بعد ما كان معدوما، كان ذلك تناقضا وهو محال، لأن ذاته أزلي فيستحيل أن يحدث في ذاته صفة، وإن أراد أن غيره يحدثه فيه فذلك أصرح في القول بأنه حادث، وذلك أيضا محال عقلا وشرعا. وإن قال: إنه يحدث ذلك الكلام وتلك الإرادات بلا فاعل أي لم يخلقها هو بنفسه ولا غيره خلقها فيه، كان ذلك محالا أيضا، لأن حدوث شيء ما بلا مكون محال عقلا... فكل من التقديرات الثلاثة يؤدي إلى المحال، وما أدى إلى المحال محال[22].

واشتهر عن ابن تيمية القول بالخلق المستمر، وهو محال كما بينه الشيخ الهرري، فحدوث الإرادات أو الصفات في ذات الله على التعاقب لا يخلو من أحد الاحتمالات الثلاثة التي ذكرها الهرري، وهي إما أن يكون فاعلها هو الله أو غيره أو لا يكون لها فاعل، فالأول ينافي أزلية الذات، والثاني يؤدي إلى إثبات فاعل أزلي غير الله، ويترتب على الثالث حدوث أفعال بلا فاعل وهو منكر من القول وزور.

---

[22] الهرري، عبد الله، إظهار العقيدة السنية، ص48-49

ب. رده على القائلين بقدم ذات العالم

يقول الشيخ الهرري "والخلق يطلق على الإحداث من العدم إلى الوجود، ويطلق بمعنى التقدير، فبهذا المعنى يوصف به الله تعالى ويوصف به غيره، قال **تعالى (فتبارك الله أحسن الخالقين)**[23]، وهو بالمعنى الأول خاص بالله، وقال الله تعالى **(هل من خالق غير الله)**[24]، ويطلق الخلق لغة بمعنى الافتراء والكذب، وبمعنى التصوير.

ففهم من ذلك أن العالم أي ما سوى الله حادث، فالجواهر والأجسام محدثة بذواتها وصفاتها، وقال أرسطوطاليس وأتباعه إنها قديمة بذواتها وصفاتها، وقال أكثر الفلاسفة إنها قديمة بذواتها محدثة بصفاتها، ولا فرق عند المسلمين بين ذوات العالم وصفاته القائمة بذواته في الكون محدثا فليس شيء منها أزليا، وليس بين المسلمين خلاف في تكفير القائلين بالمقالتين، وأحمد ابن تيمية مع هؤلاء ليس على مذهب أرسطو[25]".

يعني أن ابن تيمية يوافق القائلين بقدم نوع العالم وحدوث صفاته، مع أن المسلمين لا يفرقون بين ذات العالم وصفاته من حيث الحدوث.
ومن القائلين بقدم ذات العالم ابن رشد وهو ذو طبيعتين عنده كما بين ذلك في فصل المقال إذ قال "فهذا الوجود الآخر -يعني العالم- الأمر فيه بين:

---

[23] سورة المؤمنون الآية 14

[24] سورة فاطر الآية 3

[25] الهرري، إظهار العقيدة السنية، ص53

أنه قد أخذ شبها من الوجود الكائن الحقيقي، ومن الوجود القديم"[26]، فالعالم قديم من جهة وحادث من جهة في نظره، وهو واجب من الجهة التي هو قديم، ممكن من الجهة التي هو حادث، فهو واجب بالذات أي من الجهة التي هو قديم، وممكن في الحركة والأين أي من الجهة التي هو حادث. وحاول ابن تيمية أن يرد على ابن رشد فابتدع فكرة الخلق المستمر!

ج. رده على القاديانية

وفي معرض ذكر نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه خاتم الأنبياء والرسل، قال الشيخ الهرري والدليل على ذلك قوله تعالى (**ولكن رسول الله وخاتم النبيين**)[27]، وقوله صلى الله عليه وسلم "وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي"[28]، ومخالفة القاديانية أتباع غلام أحمد القادياني الباكستاني الذي ادعى النبوة لهذا وتأويلهم للخاتم بمعنى الزينة كفر. وهذا غلام أحمد قال عن نفسه إنه نبي رسول، وقال إنها نبوة تجديدية، وقال إنها نبوة ظلية أي تحت ظل محمد.

ثم المسلمون قاموا ليقتلوه أول ما دعا إلى الإيمان بأنه نبي فاحتمى بالإنجليز، فشرطوا عليه أن يعطل حركة الجهاد في الهند كلها، فقال فيما ادعى أنه وحي من الله: يجب علينا شكر الدولة البريطانية لأنهم أحسنوا إلينا بأنواع الامتنان، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، وحرام علينا وعلى جميع المسلمين محاربة

---

[26] ابن الرشد، ابو الوليد، فصل المقال، ص25

[27] سورة الأحزاب الآية 40

[28] البخاري، الصحيح، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الإنجليز. فوفى لهم بالشرط الذي طلبوا منه، ثم قام مقامه بعض ذريته لتلك الدعوة.[29]

د. رده على الوهابية والمشبهة

لم يكتف الشيخ الهرري برد ودحض مذاهب الفرق المبتدعة البائدة، بل تناول نقده الفرق المعاصرة التي تعد اليوم من أكثر الفرق ضلالا كالوهابية وحزب الإخوان وحزب التحرير وغيرها، ويحسن بنا هنا أن نضرب أمثلة لرده على الوهابية باعتبارها أكثر الحركات الحديثة شرا وفسادا.

قال العلامة الهرري في معرض رده على من نسب الانفعال والجهة والجسمية لله، تعلى الله عما يصفون وهم الوهابية: "من صفات البشر التحيز في جهة ومكان، والحركة والسكون والجلوس والوقوف والاستلقاء والمماسة، والتحول من حال إلى حال، والانفعال من حالة الفرح إلى الحزن والعكس، والانفعال من حالة الغضب إلى حالة الرضا والعكس، وكذلك سائر ما هو تحول من حال إلى حال مما هو من صفات البشر، وكذلك ما هو من صفات غير البشر من الخلق لأن ذلك يوجب وجود المثل لله تعالى، وذلك كله يدخل تحت ما نفى الله تعالى عن نفسه بقوله **(ليس كمثله شيء)**[30]، فمن أثبت شيئا من هذه الأحوال لله تعالى فقد أثبت لله ما نفاه الله عن نفسه في كتابه، فلو كان الله تبارك وتعالى متحيزا في جهة ومكان لكان له أمثال لا تحصى من أجسام كثيفة وأجسام لطيفة كالنور والريح، فإن للأجسام اللطيفة

---

[29] الهرري، إظهار العقيدة السنية، ص77-78

[30] سورة الشورى، الآية 11

أيضا تحولا من حال إلى حال. فوجب ترك الأخذ بظواهر آيات وأحاديث توهم ذلك توفيقا بينها وبين تلك الآية المحكمة وإلا وقع التضاد والتناقض بين بعض آيات القرآن وبعض آخر وبينها وبين أحاديث توهم ذلك.

وقد وفق الله تعالى لسلوك هذا المسلك الذي هو التوفيق بين تلك الآية المحكمة وبين الآيات الأخرى والأحاديث التي صفتها ما ذكر أهل السنة الأشاعرة والماتريدية، وخزى الله المشبهة بحرمانها ذلك.

وبها يعلم فساد ما قالته بعض مشبهة العصر الوهابية حيث احتج بعضهم لإثبات الانفعال على الله تعالى بما ورد في حديث الشفاعة من أن آدم ونوحا وموسى وعيسى (عليهم السلام) يقولون للناس عند قصدهم إياهم ليشفعوا لهم "إن الله غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله" ولم يدروا أن معنى الحديث أن الله يظهر في ذلك اليوم من آثار غضبه ما لم يسبق مثله ولا يأتي بعده مثله، وغضب الله ورضاه عند أهل السنة ليس انفعالا، بل يقولون إن غضبه ورضاه ليس كما يغضب الورى ويرضى كما أشار الطحاوي في عقيدته إلى ذلك[31].

وكذلك رد عليهم مذهبهم في نسبة الجهة إلى الله، بقولهم إن الناس مجبولون على العلم بكون الله في جهة العلو! فإن أرادوا بهذا هؤلاء الذين قصرت أنظارهم معرفة طرق الاستدلال، فتوهم من كان حاله كذلك أن الله في جهة العلو منه فذلك مسلم، وإذا أرادوا من ذلك الحذاق من علماء المسلمين الذين يعرفون أن الله ليس في جهة بالأدلة النقلية والعقلية فغير مسلم.

---

[31] الهرري، إظهار العقيدة السنية، ص126-127

وقال الشيخ الهرري في هذا الصدد "وأقبح هذه الاعتقادات الفاسدة اعتقاد أن الله تعالى جالس على العرش أو واقف عليه، لأن فيه جعل الله تعالى محمولا للعرش والعرش محمول للملائكة، فالملائكة على هذا الاعتقاد قد حملوا الله تعالى، فكيف يليق بالإله الذي أوجد العالم بأسره أن يحمله شيء من خلقه، فعلى قول هؤلاء يلزم أن يكون الله محمول حامل ومحفوظ حافظ، وهذا ما لا يقوله عاقل[32].

وقال في معرض رده على من نسب الجسمية إلى الله تعالى "ومن عجائب فضائح الوهابية في معتقدهم أنهم فسروا القدم في حديث البخاري وغيره: "يقال لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول قط قط" بمعنى الجزء منه كما أن قدم الإنسان جزء منه فهم بذلك خالفوا قول الله تعالى: (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)[33]، فقد أخبر الله تعالى في هذه الآية بأنه يملأ جهنم من الجن والإنس وهم جعلوا جهنم تمتلئ بذات الله تعالى فوقعوا في رد النص القرآني الصريح.

وأما أهل التنزيه فقد سلموا من ذلك فإنهم قالوا القدم المراد به خلق من خلقه يقدمهم الله إلى النار وهم آخر فوج من أهل النار، فوفقهم الله إلى موافقة كتابه وباءت المجسمة ومنهم الوهابية بهذا الخزي العظيم، وهذا دليل

---

[32] الهرري، المرجع السابق، ص164

[33] سورة السجدة الآية 13

على أنهم مولعون بإثبات الجسمية وصفات الجسم من حركة وسكون وانفعال لله تعالى[34].

الهرري مجدد منهج أهل السنة في هذا العصر

بدأ العصر الحديث في العالم الإسلامي بسقوط دولة الخلافة وغزو الاستعمار الأوربي لبلاد الإسلام ونتج من ذلك نشأة الفرق المبتدعة فخرجت الوهابية في الجزيرة العربية وحزب الإخوان في مصر وحزب التحرير في فلسطين، والقاديانية في الهند، والبهائية في إيران، وغيرها في أماكن أخرى من بلدان العالم الإسلامي.

وكانت الوهابية أقدم هذه الفرق نشأة فقام علماء أهل السنة بالردّ عليها لتوها ومن أشهر مؤلفاتهم في هذا الصدد:

1. كتاب "فتنة الوهابية"، للمفتي السيد أحمد بن زيني دحلان. وهو جزء من القسم الثاني من كتاب الفتوحات الإسلامية، وطبع هذا القسم في تركيا سنة 1975م. ثم طبع مرة ثانية بنفس المطبعة سنة 1982م. وهو عبارة عن رسالة تحدث فيها المؤلف عن تاريخ حركة الوهابية والحروب التي خاضتها وبعض آراء صاحب هذه الدعوة في مسائل التوحيد. يشكل الكتاب واحدا من أهم المصادر التي كتبت في الرد على الوهابية.
2. ومنها "النقول الشريعة في الرد على الوهابية" لمصطفي بن أحمد بن حسن الشطي الحنبلي وقد ناقش فيها المؤلف، قضايا الاجتهاد والشرك وأقسامهما، وحياة الأنبياء والشهداء في قبورهم ومسائل التوسل وغيرها.
3. ومنها "المنحة الوهابية في الرد على الوهابية"، لداوود بن سليمان البغدادي،

---

[34] الهرري، المرجع السابق، ص 156

طبع في تركيا، الطبعة الثالثة سنة 1974م. وبين المؤلف في هذه الرسالة إثبات سماع الموتى وحياتهم بعد الوفاة، وهل لهم تصرف في بعض الأمور أم لا.

4. ومنها "الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية"، للشيخ سليمان بن عبد الوهاب النجدي، وهو أقدم كتاب ألف في الرد على الوهابية، وقد ألف أثناء حياة محمد بن عبد الوهاب، ورد هو نفسه في بعض رسائله على بعض ما جاء فيه، وطبع لأول مرة في العراق سنة 1306هـ/1888م. ومن المسائل المهمة التي ناقشها المؤلف مسألة تكفير المسلم.

5. ومنها "الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق"، لجميل أفندي صدقي زهاوي 1863هـ/1936م، وهو عراقي عمل موظفا للحكومة العثمانية، والكتاب يقع في"76" صفحة من القطع الصغيرة، ونشر في مصر بمطبعة الواعظ سنة 1323هـ، ثم صدرت له طبعات أخرى، منها طبعة مكتبة الحقيقة في تركيا سنة 1976م، والمؤلف يتحدث في أول كتابه عن إنجازات الحكومة العثمانية وخدماتها للعالم الإسلامي، ثم ينتقل إلى نقد الحركة الوهابية التي خرجت على الخلافة الإسلامية. ويناقش المؤلف بعض القضايا التي كثر حولها الجدل، مثل قضية التجسيم، والإجماع والقياس وغير ذلك.

6. ومنها "ضياء الصدور لمنكري التوسل بأهل القبور" لظاهر شاه ميان ابن عبد العظيم، ويناقش المؤلف فيها قضايا التوحيد والشرك، والتجسيم والاجتهاد وغيرها، ثم يورد أقوال الفقهاء الأربعة لإثبات جواز التوسل بالأنبياء والصالحين.

7. ومنها "التوسل بالنبي وبالصالحين"، لأبي حامد مرزوق. طبع في تركيا سنة 1990م، ويتكون من قسمين، الأول بعنوان "التوسل وجهلة الوهابيين"، كتب المؤلف هذا القسم عند ما كان في دمشق كما يقول الناشر، وهذا القسم

هو القسم الرئيس في الكتاب حيث تصل صفحاته 304 صفة من القطع الصغيرة، ويناقش فيه بعض آراء ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب في التوحيد والصفات والتوسل وغيرهم ومناقشته في هذا القسم جيدة. أما القسم الثاني وهو يبدأ من صفحة 305 إلى صفحة 336 وهي آخر الكتاب ناقش فيه مسائل التوسل وأورد أقوال فيه الفقهاء.

8. ومنها "البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر" للسيد حمد الله الداجوي، طبع في تركيا سنة 1989م. والمؤلف باكستاني، وكتابه هذا رد على الشيخ ملا طاهر من علماء الباكستانيين الوهابيين وقد كتب هذا الأخير كتابا سماه "البصائر للمتوسلين بالمقابر" أما مؤلف كتاب البصائر لمنكري التوسل فهو صاحب عقلية متفتحة ويظهر من كتابه أن له باعا طويلا في الجدل ومناقشته مقبولة وفيها فوائد كثيرة لمن أراد معرفة طرق الرد على الوهابية، ومن الأمور التي ناقشها المؤلف، الحياة بعد الموت، وأقوال ابن تيمية في التوسل، وقضايا الإيمان والكفر والبدعة وغيرها ويعتبر محمد بن عبد الوهاب خارجيا، وانتهى من تأليف كتابه هذا سنة 1965م.

لكن مع عظمة جهود علماء أهل السنة لردّ بدعة الوهابية، ظلت أفكارها تنتشر لأسباب منها:

1. تحالفهم مع الاستعمار البريطاني ضد المسلمين كما فعلت القاديانية في الهند.
2. تحالفهم مع الأسرة الحاكمة في السعودية لفرض بدعتهم على مسلمي الخليج العربي.
3. موقعهم الاستراتيجي في العالم الإسلامي الذي يتمثل في البلاد المقدسة، حيث يؤمها ملايين المسلمين في كل عام لأداء فريضة الحج.

4. تردي حالة التعليم في البلاد الإسلامية آنذاك بسبب ضعف الخلافة والغزو الغربي، مما أتاح لهم فرصة نشر بدعتهم.

ولهذه الأسباب وغيرها استطاعت الوهابية نشر أفكارها الفاسدة مما جعل عددا من أبناء المسلمين الذين لم يدرسوا الإسلام على مذهب أهل السنة يغترون بها، فممن اغتر ببدعتهم المودودي ومسعود الندوي والسهسواني من أبناء مسلمي الهند وهم لم يعرفوا الإسلام عن طريق مذهب أهل السنة، بل لم يدرس بعضهم العلوم الشرعية أصلا كالمودودي.

وتأثر بهذه البدعة في مصر رشيد رضا وسيد قطب وعبد القادر عودة، ومحمد قطب، وسيد سابق وغيرهم. وفي الشام سعيد حوى والألباني والنبهاني وآخرون. أما في العراق فقد كان سكانها أقل استجابة للدعوة الوهابية ولم يتأثر بها إلا الآلوسي.

ثم بدأت الوهابية طمس معالم منهج أهل السنة في العلوم الشرعية بعد استيلائها على الحجاز سنة 1920م. فأطلقت نفسها "بالسلفية" لتخفي حقيقتها ودخلت تنافس علماء أهل السنة، عن طريق نشر المؤلفات التي حظر علماء أهل السنة مطالعتها، لما فيها من شرك وبدع مستحدثة وأقاويل مخالفة للعقل والنقل مثل كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وابن كثير وغيرهم من المشبهة والمجسمة.

وقد لاحظ المرحوم الشيخ مصطفي عبد الرازق شيخ الأزهر أن حركة علم العقيدة في العصر الحديث بدأت بتنافس بين أنصار مذهب الوهابية وأنصار مذهب أهل السنة، ويقول في ذلك "أما النهضة الحديثة لعلم الكلام فتقوم على نوع من التنافس بين مذهب الأشعري ومذهب ابن تيمية. وإنا لنشاهد تسابقا في نشر كتب الأشعري وكتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ويسمى

أنصار هذا المذهب الأخير بالسلفية، ولعل الغلبة في بلاد الإسلام لا تزال إلى اليوم لمذهب الأشاعرة"[35]

أقول لقد تطاير شرر بدعة الوهابية حتى تأثر بها بعض علماء أهل السنة، كما وصلت أفكار الوهابية إلى علماء الشيعة، حتى ظهر في العصر الحديث من بين أهل السنة وعلماء الشيعة من يقسم التوحيد إلى توحيد ألوهية وتوحيد ربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وذلك تبعا لمذهب ابن تيمية الفاسد في التوحيد الذي أشاعته الوهابية.

فلما رحل العلامة الهرري إلى بلاد الحجاز اتصل في الحال علماء أهل السنة في المدينتين المقدستين ورأى بنفسه خطر زحف بدعة الوهابية على مسلمي هذه المنطقة، وقد يكون هذا إحدى الأسباب التي جعلته يندب نفسه للرد عليها، عن طريق نشر العقيدة السنية الصحيحة وتعليم العلوم الشرعية على مذاهب أهل السنة في العقيدة والفقه.

ذلك أن الوهابية أول ما ظهرت في الحجاز بدأت إنكار عقيدة أهل السنة والجماعة كما ردت مذاهب الفقه الأربعة المعتبرة لدى علماء أهل السنة، ثم استحدثوا منهجا جديدا للتعامل مع النصوص يسمح للعامة أن يقولوا في نصوص القرآن والحديث الشريف ما بدا لهم، غير مبالين من خالفهم من علماء المسلمين، وقد أشار الشيخ سليمان بن عبد الوهاب إلى هذا المنهج الفاسد، حيث تسمح الوهابية لأتباعها أن يجتهدوا في تفسير النصوص بدون شروط مسبقة، وإن كانوا لا يعرفون القراءة والكتابة.

وردا على هذا المذهب الفاسد بدأ العلامة الهرري بإحياء الفقه الإسلامي عن طريق التعليم والتدريس والوعظ والإرشاد في ربوع بلاد الشام، ثم نشر

---

[35] عبد الرازق، المرحوم مصطفي، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، ص295

مؤلفاته في العقيدة حيث بين فيها مذهب أهل السنة والجماعة وردّ على المبتدعة القديمين منهم والحديثين ولاسيما فرقة الوهابية لما كانت أكثر الفرق ضررا على الإسلام وأهله.

وبفضل جهوده العظيمة في الشام انتشر من جديد مذهب أهل السنة في جميع ربوع العالم الإسلامي، بل حتى في أوربا وأمريكا وأستراليا وغيرها، فأحيا الله به مذهب أهل السنة الذي كانت الوهابية تحاول إفساده وطمس معالمه.

ومن هنا قلنا إنه يعتبر مجدد منهج أهل السنة في هذا العصر، وقد اعترف ذلك خصومه ووصفوه مجددا، لكنهم لما لم يقدروا على المجاهرة بإنكار إحياء مذهب أهل السنة عليه، قالوا إنه يعمل من أجل إحياء مذاهب علم الكلام!

ولا نعرف من أنكر منهجه في التجديد من المسلمين إلا شرذمة من غلاة الوهابية كابن باز وأمثاله، وهكذا نستطيع أن نقول باطمئنان وبدون وجل إن الهرري مجدد منهج أهل السنة والجماعة في العصر الحديث، وذلك بشهادة أعدائه وحاقديه، ناهيك عن تلاميذه وأنصاره، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"[36]، وله من المؤلفات والرسائل ما يشهد لذلك وسنذكر بعضها فيما يلي.

مؤلفاته ورسائله

كانت حياة العلامة الهرري في فترة شبابه حافلة بالجهاد والكفاح من أجل تحرير بلاد مسلمي الصومال من الاستعمار كما مر بنا، ثم بعد نزوله الشام

[36] راه أبو داوود في سننه، كتاب الملاحم، الحديث رقم 3740

واصل نشاطه العلمي، فلم يقض معظم حياته في سجن كابن تيمية وسيد قطب ولم يحكم عليه بالإقامة الجبرية في بيته كما كان حال الألباني في الأردن، بل ظل طليقا يتجول بين القرى والمدن في جميع أنحاء بلاد الشام لنشر العلوم الإسلامية النافعة وتعليمها على منهج أهل السنة والجماعة، ولم يصطدم مع السلطات الرسمية في بلد من تلك البلاد كما حصل لغيره من أصحاب الآراء الفاسدة والأفكار الشاذة، بل بفضل منهجه في الدعوة المبني على الحكمة والموعظة الحسنة، اتصل بالمجتمع الشامي دانيهم وقاصيهم، فلم يجد وقتا للتأليف لكثرة انشغاله في والوعظ والإرشاد وتصحيح عقائد الناس والرد على المبتدعة. لكن مع هذا صدر له عدد من المؤلفات والرسائل، ومنها:

1. شرح ألفية السيوطي في مصطلح الحديث.
2. قصيدة في الاعتقاد تقع في ستين بيتا تقريبا.
3. الصراط المستقيم في التوحيد.
4. الدليل القويم على الصراط المستقيم في التوحيد.
5. مختصر عبد الله الهرري الكافل بعلم الدين الضروري.
6. بغية الطالب لمعرفة العلم الديني الواجب.
7. التعقب الحثيث على من طعن فيما صح من الحديث.
8. نصرة التعقب الحثيث على من طعن فيما صح من الحديث.
9. الروائح الزكية في مولد خير البرية.
10. شرح العقيدة النسفية.
11. شرح ألفية الزبد في الفقه الشافعي.
12. شرح متن أبي شجاع في الفقه الشافعي.

13. شرح الصراط المستقيم.
14. شرح متن العشماوية.
15. شرح متممة الأجرومية في النحو.
16. شرح البيقونية في المصطلح.
17. صريح البيان في الرد على من خالف القرآن.
18. المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية.
19. كتاب الدر النضيد في أحكام التجويد.
20. إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية.

مقدمة نافعة

للشيخ عبد الله الهرري

وجوب لزوم الجماعة

ليعلم أن أهل السنة هم جمهور الأمة المحمدية وهم الصحابة ومن تبعهم في المعتقد أي أصول الاعتقاد، وهي الأمور الستة المذكورة في حديث جبريل[37] الذي قال فيه الرسول: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره». وأفضل هؤلاء أهل القرون الثلاثة المرادون بقول رسول الله[38]: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» والقرن معناه مائة سنة كما رجح ذلك الحافظ أبو القاسم بن عساكر وغيره، وهم المرادون أيضا بحديث الترمذي[39] وغيره: «أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» وفيه قوله: «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد، فمن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة» صححه الحاكم. وقال الترمذي: حسن صحيح. وهم المرادون أيضا بالجماعة الواردة فيما رواه أبو داود[40]، من حديث معاوية: «وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة».

والجماعة هم السواد الأعظم ليس معناه صلاة الجماعة، كما يوضح ذلك حديث

---

37 أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان: باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان. وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.

38 أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الفتن: باب ما جاء في القرن الثالث.

39 أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الفتن: باب ما جاء في لزوم الجماعة. وأخرجه الحاكم في المستدرك 113/1 - 114.

40 أخرجه أبو داود في سننه: كتب السنة: باب شرح السنة.

زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ[41] قال: «ثلاث لا يُغَل عليهن قلب المؤمن: إخلاص العمل، النصيحة لولي الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تكون من ورائِهم». قال الحافظ ابن حجر: حديث حسن.

بداية انتشار البدع

ثم حدث بعد مائتين وستين سنة انتشار بدعة المعتزلة وغيرهم فقيض الله تعالى إمامين جليلين أبا الحسن الأشعري وأبا منصور الماتريدي رضي الله عنهما فقاما بإيضاح عقيدة أهل السنة التي كان عليها الصحابة ومن تبعهم بإيراد أدلة نقلية وعقلية مع ردّ شبه المعتزلة وهم فرق عديدة بلغ عددهم عشرين فرقة، فقاما بالرد على كل هذه الفرق أتم القيام برد شبههم وإبطالها فنسب إليهما أهل السنة، فصار يقال لأهل السنة أشعريون وماتريديون.

هل هناك خلاف بين الأشعرية والماتريدية؟

فإن قيل إن بين الأشاعرة والماتريدية اختلافا في مسائل في العقيدة فكيف يكون كل منهما الفرقة التي قال الرسول ﷺ: «فمن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة». فالجواب: أنه ليس بينهما اختلاف في أصول العقيدة إنما الخلاف بينهما في بعض فصول العقيدة وفروعها، وهذا لا يقدح في كونهما الفرقة الناجية، فإن هذا الخلاف كالخلاف الذي حصل بين الصحابة في رؤية النبي ربه ليلة المعراج، فقد نفتها عائشة وابن مسعود وأثبتها عبد الله بن عباس وأصحابه من التابعين وأبو ذر الغِفاري، مع أن

---

41 أخرجه الترمذي في سننه: كتاب العلم: باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع وأحمد في مسنده (80/4 و28)، والحاكم في المستدرك (88/1).

الصحابة متفقون في أصول العقيدة.

ومن هذه الفرقة يكون المجدد الذي أخبر الرسول ﷺ أنه يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة وهو من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» رواه أبو داود وغيره[42]. فيجب الاعتناء بمعرفة عقيدة الفرقة الناجية الذين هم السواد الأعظم.

ثم بعد أن بينا أن الأشاعرة والماتريدية فرقة واحدة في العقيدة يصح لنا أن نقول: الأشعري ماتريدي والماتريدي أشعري.

أفضل العلوم علم العقيدة

وأفضل العلوم علم العقيدة لأنه يبين أصل العقيدة التي هي أصل الدين، وهذا العلم سماه أبو حنيفة "الفقه الأكبر". فيا طلاب الحق لا يُهَوِّلَنَّكُم قدح المشبهة المجسمة في هذا العلم بقولهم إنه علم الكلام المذموم لدى السلف، ولم يدروا أن علم الكلام المذموم هو ما ألفه المعتزلة على اختلاف فرقهم من كرامية وغيرها فإنهم قد افترقوا إلى عدة فرق بيّنها من ألفوا في بيان الفرق كالإمام أبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي.

ومن أشهر ما ألف في هذا العلم هذه العقيدة المشهورة بالعقيدة الطحاوية التي مؤلفها من السلف، وقد نص على أن ما يذكره في هذه العقيدة هو ما عليه أهل السنة يعني الصحابة ومن بعدهم إلى عصره عامة، وخص ذكر الإمام أبي حنيفة وصاحبيه القاضي أبي يوسف ومحمد بن الحسن بتسميتهم بأسمائهم.

ثم إن العلم بالله تعالى وصفاته أجل العلوم وأعلاها وأوجبها وأولاها، وهو أصل

---

42 أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الملاحم: باب ما يذكر في قرن المائة، والحاكم في المستدرك (522/4).

كل علم ومنشأ كل سعادة، ولهذا سمي علم الأصول. وقد خصّ النبي ﷺ نفسه بالترقي في هذا العلم فقال: «أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له»[43] رواه البخاري فكان هذا من أهم العلوم تحصيلاً وأحقها تبجيلا وتعظيماً.

علم الأصول مقدم على علم الفروع

قال تعالى: ﴿فَأَعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾[44]، وقدم الأمر بمعرفة التوحيد على الأمر بالاستغفار، والسبب فيه أن معرفة التوحيد إشارة إلى علم الأصول والاشتغال بالاستغفار إشارة إلى علم الفروع، لأنه ما لم يعلم وجود الصانع يمتنع الاشتغال بطاعته. وقد حث الله تعالى عباده في كثير من آيات القرآن على النظر في ملكوته لمعرفة جبروته فقال: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوْا فِي مَلَكُوْتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[45]، وقال تعالى: ﴿سَنُرِيْهِمْ آيَتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُ﴾[46].

هل تعلم الصحابة هذا العلم؟

فإن قيل: لم ينقل أنه ﷺ علّم أحدا من أصحابه هذا العلم، ولا عن أحد من أصحابه أنه تعلم أو علَّم غيره، وإنما حدث هذا العلم بعد انقراضهم بزمان، فلو كان هذا العلم مهمّا في الدين لكان أولى به الصحابة والتابعون.

قلنا: إن عني به أنهم لم يعلموا ذات الله وصفاته وتوحيده وحقيقة رسوله وصحة

---

43 أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان.

44 سورة محمد الآية 19

45 سورة الأعراف الآية 185

46 سورة فصلت الآية 53

معجزاته بدلالة العقل فأقروا بذلك تقليدا، فهو بعيد من القول شنيع من الكلام، وقد ردّ الله عزّ وجلّ في كتابه على من قلد آباءه في عبادة الأصنام بقوله: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾[47]، أي على دين. وقد حاجّ النبي ﷺ كثيرا من المشركين واليهود والنصارى وذلك مما لا يخفى.

وإن أريد به أنهم لم يتلفظوا بهذه العبارات المصطلحة عند أهل هذه الصناعة نحو الجوهر والعرض والجائز والمحال والحدث والقدم، فهذا مسلّم، ولكنا نعارض بمثله في سائر العلوم، فإنه لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه التلفظ بالناسخ والمنسوخ، والمجمل والمتشابه وغيره كما هو مستعمل عند أهل التفسير، ولا بالقياس والاستحسان، والمعارضة والمناقضة والعلة وغيرها كما هو مستعمل عند الفقهاء، ولا بالجرح والتعديل، ولآحاد والمشهور والمتواتر والصحيح والغريب، وغير ذلك كما هو المستعمل عند أهل الحديث، فهل لقائل أن يقول يجب رفض هذه العلوم لهذه العلة؟

فإن قيل قال ابن عباس: "تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق" فإنه منهي عنه.

قلنا: إنه ورد النهي عن التفكر في الخالق مع الأمر بالتفكر في الخلق، فإنه يوجب النظر والتأمل في ملكوت السموات والأرض ليستدل بذلك على الصانع إنه لا يشبه شيئا من خلقه، ومن لم يعرف الخالق من المخلوق كيف يعمل بهذا الأثر؟

إتقان السلف لعلم الكلام السني

وكان الشافعي أتقن هذا العلم، علم الكلام الذي لأهل السنة قبل أن يتقن علم الفقه، والدليل على ذلك ما ذكره عنه الحافظ المحدث بالشام في عصره ابن عساكر قال: "أحكمنا ذاك قبل هذا"، وما ثبت عنه أنه جاءه حفص الفرد المعتزلي فناظره

---

47 سورة الزخرف الآية 23

فقطعه الشافعي بالحجة في مسألة خلق الكلام، فلما أصرّ حفص على قوله القرآن مخلوق قال الشافعي: "لقد كفرتَ بالله العظيم"، فقال حفص للربيع المرادي: أراد الشافعي ضرب عنقي، يعني انه كفرني واستحل قتلي، وذلك لأنه ينفي الكلام عن الله تعالى إلا بمعنى أنه يخلق صوتا في غيره ولا يعتقد أن لله كلاما ذاتيا نفسانيا ليس بحرف ولا صوت، عُبِّر عنه بالألفاظ المنزلة على أنبياء الله كما يُعَبَر عن ذات الله بلفظ الجلالة الله بحيث يصح أن يقال لمن كتب لفظ الجلالة على لوح أو جدار "ما هذا؟" فيجيب: الله، أي أن هذا الشكل المركب من الحروف عبارة عن الذات المقدس ولا يُتصور أنه يعني أن هذه الحروف عين الذات المقدس المعبود، والله الموافق للصواب ونسأله أن يرزقنا حسن المآب إنه رحيم توّاب.

ومما يشهد لكون هذا ليس من علم الكلام المذموم للشافعي وغيره أن أبا حنيفة ألف في علم الكلام خمس رسائل وكان يذهب من بغداد إلى البصرة لمناظرة المعتزلة والمشبهة والملاحدة حتى إنه تردد إليهم نيفا وعشرين مرة، وتلك الرسائل الخمسة وإن طعن بعض الناس في نسبتها إلى الإمام لكن الحافظ مرتضى الزبيدي قال: "إنها ثابتة بالإسناد الصحيح".

وقد تكلم فيه مالك وغيره من أئمة السلف، وقال بعض العلماء في مدح علم الكلام الذي لأهل السنة شعرا من البسيط:

عاب الكلامَ أُناس لا عقول لهم   وما عليه إذا عابوه من ضرر
ما ضرّ شمسَ الضحى في الأفقِ طالعةً   ألا يرى ضوءَها من ليس ذا بصر

موضوع علم التوحيد

وموضوع علم التوحيد النظر في الخلق لمعرفة الخالق، وقيل في تعريفه: إنه علم يتكلم

فيه عن أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله وأحوال المخلوقين من الملائكة والأنبياء والأولياء والأئمة والمبدأ والمعاد، على قانون الإسلام لا على أصول الفلاسفة، فإنهم - أي الفلاسفة - تكلموا في حق الله وفي حق الملائكة وغير ذلك اعتمادا على مجرد النظر والعقل، فجعلوا العقل أصلا للدين فلا يتقيدون بالتوفيق بين النظر العقلي وبين ما جاء عن الأنبياء.

أما علماء التوحيد فيتكلمون في ذلك من باب الاستشهاد بالعقل على صحة ما جاء عن الله وعلى صحة ما جاء عن رسول الله ﷺ، فعندهم العقل شاهد للدين وليس أصلا للدين.

تسمية هذا العلم بعلم الكلام

وإنما سمي هذا النوع من العلم بعلم الكلام لكثرة المخالفين فيه من المنتسبين إلى الإسلام، وطول الكلام من كل طائفة ليدافعوا عن اعتقاداتهم الفاسدة، وأما ما يروى من ذم علم الكلام عن الشافعي وغيره فالمراد به الكلام المذموم الذي يكون من أهل البدعة من معتزلة وأشباههم، فإن لهم مجادلات في ذلك ومؤلفات، ومن جملة ما للمعتزلة كتاب المغني.[48]

48 لعله يشير إلى كتاب المغني للقاضي عبد الجبار.

متن العقيدة الطحاوية

قال الطحاوي:

هَذَا ذِكْرُ بَيَانِ عَقِيْدَةِ أَهْلِ السُّنَةِ وَالجَمَاعَةِ عَلَى مَذْهَبِ فُقَهَاءِ المِلَّةِ: أَبِي حَنِيْفَةَ النُّعْمَانُ بنُ ثَابَتٍ الكُوْفِيُّ، وَأَبِيْ يُوْسُفَ يَعْقُوْبَ بنُ إِبْرَاهِيْمَ الأَنْصَارِيُّ، وَأَبِيْ عَبْدُ اللهِ مُحَمَد بنُ الحَسَن الشَّيْبَانِيُّ، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِيْنَ، وَمَا يَعْتَقِدُوْنَ مِنْ أُصُوْلِ الدِّيْنِ وَيُدِيْنُوْنَ بِهِ لِرَبِّ العَالَمِيْنَ.

معنى أهل السنة والجماعة

الجماعة المراد به في هذا الموطن جمهور المسلمين، لأن المسلمين بعد الصحابة جمهورهم ثبتوا على ما كان عليه الصحابة من حيث المعتقد ولم يخرجوا عنه، لكن اختلف بعض المنتسبين إلى الإسلام في بعض الأصول الاعتقادية كمخالفة المعتزلة بنفيهم رؤية الله عز وجل في الآخرة، وهؤلاء يعدون في أهل الإسلام لأن بدعتهم هذه لا تكفرهم، أما المعتزلة الذين زادوا على هذا أشياء بعيدة في الضلال، فأولئك يحكم عليهم على حسب ما أحدثوا من الضلالات، كقول بعضهم بأن العبد يخلق فعله فإن هذا كفر والعياذ بالله.

ذكر عقيدة أهل السنة

يقول الطحاوي إن هذه الرسالة هي ذكر عقيدة أهل السنة والجماعة على حسب ما قرره أبو حنيفة، وأبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، وأبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني، أي من حيث سبك العبارات أضع هذه الرسالة على أسلوب هؤلاء الأئمة الثلاثة، أما من حيث

المعنى فهو مذهب أهل الحق أهل السنة والجماعة كلهم بلا استثناء.

وهؤلاء الثلاثة من السلف لأن أبا حنيفة توفي سنة مائة وخمسين، ثم توفي صاحباه أبو يوسف ومحمد بن الحسن بعد نحو ثلاثين سنة من وفاة أبي حنيفة.

السلف الصالح

والسلف أهل القرون الثلاثة الذين ذكرهم الرسول ﷺ بقوله: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» رواه البخاري. فعلى تفسير القرن بمائة سنة، فالسلف هم من كانوا الثلاثمائة، ومن العلماء من جعل منتهى السلف سنة مائتين وعشرين، والأول هو المشهور، ويقوى ذلك رواية ابن حبان لحديث: «خير الناس» التي فيها ذكر: «ثم الذين يلونهم» ثلاث مرات، واختار ذلك الحافظ ابن عساكر في رسالته[49] التي ألفها في الدفاع عن أبي الحسن الأشعري.

وأبو جعفر (الطحاوي) لم يلق أبا حنيفة ولا صاحبيه، لكن وصل إليه علمهم بواسطة الطريق الصحيح.

قال الطحاوي:

نَقُوْلُ فِي تَوْحِيْدِ اللهِ مُعتقِدينَ بِتَوْفِيْقِ اللهِ: إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ لا شَرِيْكَ لَهُ.

معنى التوفيق

التوفيق خلق قدرة الطاعة، ويقابله الخِذلان، فمن خلق فيه قدرة الطاعة ففعلها

---

49 لعلها إشارة إلى رسالة ابن عساكر "تبيين كذب المفتري" التي ألفها في الدفاع عن الأشعري.

يقال فيه: موفق، ومن خلق فيه قدرة المعصية ففعلها يقال فيه: مخذول، وليس معنى التوفيق مرادفا للإعانة، لأن الله تعالى يعين العباد على الخير والشر.

معنى الواحد

الواحد في حق الله تعالى فسر بأنه الذي لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، أما في حق المخلوق فقد يقال: فلان واحد عصره بين نظرائه، وقد يقال بمعنى أنه ليس له نظير في الأمر الذي اختص به بين أهل عصره.

معنى الأحد

أما الأحد فمعناه الذي لا ينقسم لأنه ليس جسما ولا جوهرا يتركب منه الجسم، وقد حصر المتكلمون العالم في الجوهر والعرض.

معنى العرض

والعرض في اللغة اسم لما لا دوام له، ولهذا يسمى السحاب عارضا، وتسمى العلة الطارئة على الذوات السريعة الزوال عارضة.

وعند المتكلمين (اصطلاحا): اسم للصفات القائمة بالجواهر والأجسام الزائدة على ذواتها كالألوان، والأكوان، والطعوم، والروائح، والأصوات، والقُدَر، والإرادات، وهي قريبة من نيف وثلاثين نوعا، وهو أحد نوعي العالم. والنوع الآخر الجوهر.

معني الجوهر

والجوهر في اللغة: الأصل، فلما كان أصلا للأجسام سمي جوهرا، ويقال له: العين، وهو ما يقوم بنفسه، ويعنون بما يقوم بنفسه أنه يصح وجوده لا في محل يقوم به، سواء كان مركبا أو غير مركب، بخلاف العرض فإنه يستحيل وجوده لا في محل، إذ عرف ببديهة العقل استحالة وجود حركة غير قائمة بمتحرك. ويقال في تعريف الجوهر (اصطلاحا): القائم بالذات القابل للمتضادات.

الفرق بين الجسم والبدن

والقائم بنفسه إن كان مركبا فهو الجسم وأقله الجوهران، وحدّه الصحيح المؤتلفان (المجتمعان) فصاعدا. وإن كان غير مركب (أي بسيطا) فهو الجوهر.

والفرق بين الجسم والبدن أن الجسم أعم من البدن، لأن الجسم يطلق على النفوس السماوية وعلى غيرها، والبدن لا يطلق على الجسم السماوي اصطلاحا. والجسد مرادف البدن (إن كان مركبا)، وإن كان غير مركب فهو الجوهر.

والجسم عند الحُسّاب وكثير من المعتزلة وأوائل المتقدمين من أهل السنة الماتريدية ما له أبعاد ثلاثة: طول وعرض وعمق، والأصل عندهم أنهم يسمون الجزء الذي لا يتجزأ نقطة، ثم إذا تركب بجنبه آخر حدث هناك طول فسمي خطا، وإذا تركب من الجانب الآخر اجتمع طول وعرض ويسمى سطحا، ثم إذا تركب أعلاه وأسفله مثل ذلك يحصل هناك طول وعرض وعمق، وحينئذ يسمونه جسما، وأنه لا يتركب إلا من ثمانية أجزاء، وهذا حكم لا برهان عليه، إذ لفظة الجسم عبارة عن مطلق التركب في حقيقة اللغة، وباجتماع الجوهر إلى الجوهر حصل التركيب فيكون جسما.

موقف الفلاسفة من الجوهر

وأنكر الفلاسفة والنظّام وجود ما سميناه جوهرا المعبر عنه بالجزء الذي لا يتجزأ، والمعبر عنه عند المتكلمين بالجوهر الفرد، وزعموا أن الجزء وإن قلّ فهو يتجزأ إلى ما لا نهاية له، واستدلوا بقولهم: كل متحيز فيمينه غير يساره فيكون منقسما ضرورة. وقلنا في الجواب على ذلك: يجوز أن يكون الذات واحدا والوجهان عرضان قائمان به، بدليل أن طرف الخط غير منقسم وإلا لا يكون طرفا.

ما فائدة إثبات الجوهر الفرد؟

فإن قيل: وأي فائدة في إثبات الجوهر الفرد وما القصد بهذه المسألة، فالجواب أنه من مقدمات حدث العالم، فإن الجسم إذا ثبت أنه مركب من أجزاء مفردة استحال خلوه عن الأكوان التي هي عبارة عن الحركة والسكون والاجتماع والافتراق، وهي معان حادثة فترتب عليه ما لا يخلو عن الأكوان الحادثة لا يسبقها وما لا يسبق الحادث فهو حادث، إذ يؤدي إلى ما لا أول له من الحوادث وهو محال.

قال الطحاوي: وَلا شَيْءَ مِثلُهُ، وَلا شَيْءَ يُعجِزُه، وَلا إِلَهَ غَيْرُهُ.

الحق سبحانه وتعالي غير مماثل لشيء من مخلوقاته، وأما اتفاق اللفظ فلا يعني اتفاق المعنى، إذ لما نقول فلان عالم فعلم الإنسان حادث يقبل الزيادة والنقصان وأما علم الله أزلي أبدي كسائر صفاته. ثم العجز ضدّ القدرة والله سبحانه وتعالى قادر لثبوت قدرته ببدائه العقول انتفى كونه عاجزاً لما بينهما من التضاد.

والإله المعبود بحق، أما المشركون فأطلقوه على ما عبدوه من دون الله، قال الفيومي في المصباح المنير "الإله المعبود وهو الله سبحانه وتعالى، ثم استعاره المشركون لما عبدوه

من دون الله تعالى"[50].

قال الطحاوي: قَدِيْمٌ بِلاَ ابْتِدَاءٍ.

القديم في اصطلاحهم (أي متكلمي أهل السنة) ما لا ابتداء لوجوده، ويرادفه الأزلي، أما من حيث اللغة فالقديم ما تقادم عهده لو كان حادثا، وكذلك الأزلي من حيث اللغة يطلق على الشيء الذي تقادم عهده، يقول صاحب القاموس في حرف الميم فصل الهاء: "الهَرَمان بناءان أزليان بمصر"، ويقول شارح القاموس في الشرح في موضع آخر حين ذكر قرية صغيرة: "بُلَيدَة أزلية".

قال الطحاوي: دَائِمٌ بِلاَ انْتِهَاءٍ.

هذا يفهم من القديم لأن القديم لا يصح أن يطرأ عليه فناء، لذلك يقولون ما ثبت قدمه استحال عدمه، أي أنه لا يلحقه عدم، لأن القديم بالمعنى الذي هو المقصود عندهم (أي متكلمي أهل السنة) يستحيل عليه التغير، والعدم تغير، فلا يلحق القديمَ فناء، لكنهم يحرصون على بيان المعاني ولا يكتفون باللزوم.

قال الطحاوي: لا يَفنَى وَلا يَبيدُ، وَلا يَكونُ إلاَّ ما يُريدُ.

الإرادة هنا بمعنى المشيئة، وهي: تخصيص الممكنات العقلية ببعض ما يجوز عليها.

---

50 الفيومي، المصباح المنير، ص8

قال الطحاوي: لا تَبلُغهُ الأَوهَامُ، ولا تُدرِكُهُ الأَفهَامُ، وَلا يُشبِهُ الأَنامَ.

قوله "لا تبلغه الأوهام" معناه لا تصل إليه أوهام الخلائق أي تصوراتهم، لأن أوهام الخلق لا تصل إلا إلى ما ألفته وهو ما فيه صفة من صفات الحادثات، وأما قوله: "ولا تدركه الأفهام" فمعناه لا تحيط به أفهام الخلائق. وقوله: (وَلا يُشبِهُ الأَنامَ): إيضاح لما قبله أي لا يُشبه الخلق.

قال الطحاوي: حيٌّ لا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لا يَنَامُ.

الحي في حق الله تعالى يفسر بأنه المتصف بالحياة التي هي أزلية أبدية، ليست بروح ولحم ودم، والقيوم معناه الدائم الذي لا يزول، وقيل: القائم بتدبير الخلائق، وبمعناه القيَّام.

قال الطحاوي: خَالقٌ بِلا حَاجَةٍ.

أي خالق العالم بلا حاجة إليه، أي لا ينتفع بخلقه ولا يدفع بهم ضررا عن نفسه. فإن قيل: لم خلق إذن الخلق، فالجواب، أنه خلق الخلق إظهارا لقدرته أي حتى يعرفوه ويعرفوا أنه قادر وأنه كامل والقدرة لا يعجزه شيء، ثم هو بمعرفة ذلك ينتفعون لأن من آمن به واعتقد أنه متصف بصفاته الكاملة كان ذلك له سعادة أبدية.

قال الطحاوي: رَازِقٌ بِلا مُؤنَةٍ.

أي أنه يوصل إلى العباد أرزاقهم بلا مؤنة تلحقه، لأن فعله بلا علاج ومباشرة، يخلق الأشياء بلا آلة ولا مشقة ولا حركة ولا مماسة، فهو يوصل إلى من كان من الأحياء الذين هم يحتاجون للرزق الحسي وأرزاقهم بلا مشقة تلحقه.

قال الطحاوي: مُمِيتٌ بِلا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلا مَشَقَةٍ.

أي أن الله تبارك وتعالى يميت عباده لا خوفاً من ضرر وأذى يلحقه إن لم يمتهم، ثم يبعثهم أي يحييهم بلا مشقة، كما أن بدء خلقهم لم يكن فيه مشقة، فبدء خلقهم، ثم إماتتهم، ثم بعثهم كل ذلك هين عليه.

قال الطحاوي: مَازَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبلَ خَلقِهِ، لَم يَزدَد بِكَونِهِم شَيئًا لَم يَكُن قَبلَهُم مِن صِفَتِهِ.

أي أن الله تبارك وتعالى أزلي موجود في الأزل بصفاته القديمة بقدم الذات، لأنه يستحيل على الذات القديم الاتصاف بصفة حادثة، لأن اتصاف الذات بصفة حادثة يوجب عقلا حدوث الذات، فمن هنا قال أهل الحق: إنه تعالى حي لا كالأحياء، قادر لا كالقادرين، مريد لا كالمريدين، عالم لا كالعالمين، وهكذا سائر صفاته لا تشبه صفات خلقه، فيفهم من هذا أن الله تبارك وتعالى لم يزدد بكون الخلق أي وجودهم شيئا من الكمال، بل كماله أزلي لا يزداد ولا ينقص.

نفي الشبيه عنه تعالى

فالرب سبحانه لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء، أي لا يشارك شيئاً من المخلوقات في أخصّ وصفه، ولا فيما هو خاصية له، ولا يشاركه شيءٌ من المخلوقات في أخص صفاته لوجوب اجتماع المثلين فيما يجب ويجوز ويستحيل، فلو شارك تعالى غيره في أخصّه أو شاركه غيره في أخصه للزم التساوي في القِدَم والحدوث.

قال الطحاوي: وَكمَا كان بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًا كَذلِكَ لا يَزَالُ عَلَيهَا أَبَدِيًا، لَيسَ بَعدَ خَلْقِ الخَلْقِ اسْتَفَادَ اسْمَ الخَالِقِ، وَلا بِإِحْدَاثِهِ البَرِيَةَ اسْتَفَاد اسْمَ البارئ.

يعني أنه لما ثبت أن الله تعالى أزلي وصفاته أزلية فكذلك لا يزال أبديا بصفاته الذاتية والفعلية، إذ كلها قديمة عند الماتريدية ومعهم البخاري حيث قال في صحيحه في كتاب التوحيد ما نصه: "باب ما جاء في تخليق السموات وغيرهما من الخلائق وهو فعل الرب تبارك وتعالى وأمره، فالرب بصفاته وفعله وأمره وهو الخالق المكوِّن غير مخلوق، فما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكوَّن"[51].

وليس الأمر كما زعم بعضهم من أنه ليس في الأزل خلقا حقيقة، بل الصواب عند الماتريدية أن الله تعالى متصف بالخالقية قبل أن يخلق خلقه كما هو متصف بذلك بعدما خلقهم، وكذلك يتصف بكونه محدثا للبرية قبل إحداثهم كما هو متصف بذلك بعد إحداثهم لكون صفاته قديمة. وأما عند الأشاعرة أي معظمهم فالفعل ليس أزليا لأنه عندهم ليس صفة قائمة بذات الله.

قدم صفات الفعل لا يؤدي قدم صفات المفعول

قد توهم طائفة من الناس أن القول بقدم صفات الفعل يؤدي إلى القول بقدم صفات المفعول المخلوق، وهذا غلط منهم، فإن الخلق والتخليق والتكوين والإيجاد صفات للخالق دون المحلوق، وإنما المخلوق يكون مخلوقا بخلق الله تعالى، لأن المخلوق يكون بالخلق الذي هو تكوين الخالق فيكون أولا والمخلوق ثانياً، فبطل ما توهموا لثبوت تأخر المخلوق عن الخالق، ولا يستنكر أن يكون المؤثر يظهر تأثيره في الحال بلا فصل أو مع فصل بمدة، وهو أعني المصنوع في الحالين أثر فعل الصانع.

---

51 البخاري، الصحيح، باب ما جاء في تخليق السموات والأرض وغيرهما.

إجماع أهل السنة على ثبوت الصفات الأزلية لله تعالى

فإذا اتضح كون المحدثات في الأوقات التي سبق في علم الله تعالى وجودها فيها بإيجاده وخلقه الذي هو صفة قديمة انتفاء قدم المعلومات الحادثة، وثبوت قدم القدرة مع انتفاء قدم المقدورات، فقالوا: أجمعوا أن لله تعالى صفات على الحقيقة هو بها موصوف من العلم، والقدرة، والقوة، والعز، والحكم، والحكمة، والكبرياء، والجبروت، والحياة، والقدم، والمشيئة، والإرادة، والكلام، إلى أن قالوا: إنه لا يجوز أن تحدث لله صفة لم يستحقها فيما لم يزل، وإنه لم يستحق اسم الخالق بخلقه الخلق، ولا بإحداثه البرايا استحق اسم البارئ، ولا بتصويره الصور استحق اسم المصور، إلى أن قالوا: إن الله تعالى لم يزل خالقاً بارئاً مصوراً غفوراً رحيماً.

وكذلك جميع صفاته التي وصف بها نفسه يوصف بها كلها في الأزل، كما يوصف بالعلم والقدرة والكبرياء والقوة كذلك يوصف بالتكوين والتصوير والتخليق والإرادة، ذلك لأنه لما ثبت أنه سميع بصير قادر خالق بارئ مصور وأنه مدح له فلو استوجب ذلك بالمخلوق والمصور والمبروء لكان محتاجا إلى الخلق، والحاجة أمارة الحدث.

الرَّدُ على القائلين بالخلق المستمر

فالحاصل أن الله تعالى أزلي وصفاته أزلية لا ابتداء لوجودها بأزلية الذات، ولا يزال أبديا ولا تزال صفاته أبدية بأبدية الذات، فالقائل بأن الله تعالى يحدث في ذاته إرادات في الأزل والأبد وكلاما في الأزل والأبد على التعاقب يحدث بعضها بعد بعض، فإن أراد بذلك أنه يحدث الشيء في ذاته بفعله وبخلقه بعد ما كان معدوما، كان ذلك تناقضا وهو محال، لأن ذاته أزلي فيستحيل أن يحدث في ذاته صفة، وإن أراد أن غيره يحدثه فيه فذلك أصرح في القول بأنه حادث، وذلك أيضا محال عقلا وشرعا.

وإن قال: إنه يحدث ذلك الكلام وتلك الإرادات بلا فاعل أي لم يخلقها هو بنفسه ولا غيره خلقها فيه، كان ذلك محالا أيضا، لأن حدوث شيء ما بلا مكون محال عقلا... فكل من التقديرات الثلاثة يؤدي إلى المحال، وما أدى إلى المحال محال، ومن المعلوم أن دين الله لا يأتي بالمحالات العقلية، بل الشرع يأتي بما يجوزه العقل، لأن العقل شاهد للشرع فكيف يناقضه؟

قال الطحاوي: لَهُ مَعنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلا مَرْبُوبَ، وَمَعنَى الخَالِقِ وَلا مَخْلُوقَ، وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِيُ المَوتَى بَعْدَمَا أَحْيَا، اسْتَحَقَّ هَذَا الاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ، كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ.

أراد بذلك أن الله تعالى موصوف بمعنى الربوبية وهو المالكية قبل وجود المربوبين، وموصوف أيضا بمعنى الخالقية قبل وجود المخلوقين، وموصوف بصفات الكمال قبل أن يكون أحد من خلقه موجوداً.

قال الطحاوي: ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيْرٌ، وكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيْرٌ، لا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيْعُ البَصِيْرُ﴾[52].

قوله: "ذلك". إشارة إلى جميع ما تقدم مما ذُكر من صفاته، يعني أنه تبارك وتعالى قُدرتُه مؤثرة في كل شيء، أي في كل ما يقبل الدخول في الوجود، وذلك الممكنات العقلية، وكل ما هو كذلك فهو فقير إليه، محتاج إليه في أصل وجوده وكذلك فيما بعده، وكل ما هو كذلك فهو عليه يسير، يحدثه بمشيئته وقدرته من غير تعب يلحقه، فيحدث ما شاء من غير علاج ومباشرة.

52 سورة الشورى الآية 11.

معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾:[53] ويعلم من هذا أن ما كان مقدور العبد فهو مقدور لله تعالى، لأن مقدور العبد شيء وكل شيء مقدور لله تعالى، ولا يدخل في معنى الشيء هنا ذات الله وصفاته، فليس ذلك مرادا لله تعالى في قوله: "وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ"، لأنه مخصوص بالدليل العقلي، فلا يقال إنه تعالى قادر على ذاته متصرف في نفسه.

فلو قيل: لفظ "شيء" يشمل القديم والحادث فيلزم من هذه الآية ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾ أن الله تبارك وتعالى متصرف في نفسه كما هو متصرف في غيره، وذلك دليل الحدوث، لأن كلمة "كل" من ألفاظ العموم؟

فالجواب: بأن الكل كما يراد به التعميم يراد به أيضا الأكثر مجازا، إذا كان هناك دليل شرعي أو عقلي قطعي، وإلا فيبقي على عمومه، فيقال: كل العلماء أتقياء، مع أن بعضهم غير تقي، فمن هنا يُعلَم أنه لا يقال إن الله متصف بالقدرة على الظلم والسَّفه والكذب، لأن ذلك محال والمحال لا يدخل تحت القدرة، لأن المحال ما يمتنع وقوعه وحصوله عقلا، والمقدور والممكن ما يمكن وقوعه عقلا. وقالت المعتزلة لعنها الله: إنه يقدر على ذلك لكن لا يفعل، وهذا قول بالمحال. والمراد بنفي المماثلة عن الله تعالى المماثلة من جميع الوجوه المماثلة من وجه واحد، فكل ذلك مستحيل.

قال الطحاوي: خَلَقَ الخَلْقَ بِعِلْمِهِ.

هذا إشارة إلى أن شرط قدرة التخليق علم الخالق بالمخلوقات، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيْفُ الخَبِيْرُ﴾[54]، ومعناه أن الذي يخلق شيئاً يكون عالماً به، فيستحيل أن يخلق شيئا لا يكون عالماً به، فوجب أن يكون الله عالما لثبوت أنه الخالق،

---

53 سورة هود الآية 4.

54 سورة الملك الآية 14.

وفيه إشارة إلى فساد قول من يقول: بأنه تعالى غير عالم بالجزئيات وهم الفلاسفة، وهذه إحدى المسائل الثلاث التي يجب تكفير الفلاسفة فيها، وحجة أهل الحق عموم الخلق للكليات والجزئيات.

معنى الخلق

والخلق يطلق على الإحداث من العدم إلى الوجود، ويطلق بمعنى التقدير، فبهذا المعنى يوصف به الله تعالى ويوصف به غيره، قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الخَالِقِيْنَ﴾[55]، وهو بالمعنى الأول خاص بالله، قال الله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ﴾[56]، ويطلق الخلق لغة بمعنى الافتراء والكذب، وبمعنى التصوير.

ففهم من ذلك أن العالم أي ما سوى الله حادث، فالجواهر والأجسام محدثة بذواتها وصفاتها، وقال أرسطاطاليس وأتباعه إنها قديمة بذواتها وصفاتها، وقال أكثر الفلاسفة إنها قديمة بذواتها محدثة بصفاتها، ولا فرق عند المسلمين بين ذوات العالم وصفاته القائمة بذواته في الكون محدثا فليس شيء منها أزليا، وليس بين المسلمين اختلاف في تكفير القائلين بالمقالتين، وأحمد ابن تيمية مع هؤلاء ليس على مذهب أرسطو.

---

55 سورة المؤمنون الآية 14. قال الجرجاني في التعريفات: الخلق إيجاد شيء من شيء، قال الله تعالى: ﴿بديع السموات والأرض﴾ البقرة: 117، وقال: ﴿خلق الإنسان﴾ النمل:4، والإبداع أعم من الخلق، ولذا قال: ﴿بديع السموات والأرض﴾ وقال: ﴿خلق الإنسان﴾ ولم يقل: بدع الإنسان. وقال الزجاج: أصل الخلق في الكلام التقدير يقال خلقت الشيء خلقا إذا قدرته وقال زهير يمدح رجلا: ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري. يقول أنت إذا قدرت أمرك قطعته أي تتم على عزمك فيه وتمضيه ولست ممن يشرع في الأمر ثم يبدو له فيتركه. وقال الزجاج: وإنما احتججنا بكلامه لأنه كان بقية الفصاحة إني لا أخلق إلا فريت تمدح بهذا المعنى الذي ذكرناه. وقال الله تعالى ذكره (وتخلقون إفكا) أي تقدرونه وتهيئونه ومنه قولهم حديث مختلق يراد أنه قدر تقدير الصدق وهو كذب. فالخلق في اسم الله تعالى هو ابتداء تقدير النشء فالله تعالى خالقها ومنشئها وهو متممها ومدبرها.

56 سورة فاطر الآية 3.

تكفير العلماء بالقائلين: إنه تعالى غير عالم بالجزئيات*

وقد ذكر اتفاق المسلمين على تكفير الطائفتين الفقيه المحدث الأصولي بدر الدين الزركشي، وذكر القطع بتكفير قائل ذلك ابن دقيق العيد، وتقي الدين السبكي، وهذان من كبار الشافعية وحفَّاظهم، والحافظ القاضي عياض المالكي، وابن حزم الظاهري نقل اتفاق علماء الإسلام على تكفير من يخالف في أن الله تعالى كان في الأزل وحده لم يزل وحده لم يكن معه شيء ثم خلق الخلق، وذلك في كتابه مراتب الإجماع[57]. فكلام هؤلاء كلهم منصب على ابن تيمية ومن قال بمقالته كابن سينا والفارابي وابن رشد الحفيد ليس ابن رشد الجد، وذلك لأن القول بوجود أعيان العالم أو جنسه في الأزل معناه أن وجود ذلك ليس بإيجاد الله، بل هو والله سواء، أي كما أن الله موجود من غير أن يوجده شيء كذلك جنس العالم موجود من غير أن يوجده شيء، وهذا ظاهر في الإشراك بالله، وابن تيمية نصّ على ما نقلناه في خمسة من كتبه: منهاج السنة النبوية، وكتاب موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، وكتاب شرح حديث النزول، وكتاب شرح حديث عِمران بن حصين، وكتاب نقد مراتب الإجماع، وقد ردّ فيه قول ابن حزم بإجماع المسلمين على تكفير من خالف في أن الله في الأزل وحده لم يزل وحده ثم خلق العالم، انتقده ابن تيمية لأن كلام ابن حزم شامل لتكفير من يقول بأزلية العالم بأشخاصه وأنواعه، وتكفير من يقول بأزلية نوع العالم فقط، أي أن نوع العالم لم يزل مع الله لم يتقدمه الله بالوجود، وإنما تقدم الأعيان، ونسب ذلك إلى ابن تيمية من علماء عصره المحدث الحافظ الفقيه اللغوي النحوي تقي الدين السبكي، والإمام الحافظ أبو سعيد

---

57 مراتب الإجماع، ص167.

* هناك فرق بين رأي ابن رشد ورأي بقية الإسلاميين كالفارابي وابن سينا وغيرهم في أصل العالم. فالعالم ذو طبيعتين عند ابن رشد، وهو ذو طبيعة واحدة عند غيره من الإسلاميين. ولابن تيمة رأي مخالف لبقية الفلاسفة والمتكلمين. راجع كتابنا: "مشكلات الفلسفة الإسلامية" لمزيد من التفصيل.

العلائيّ شيخ مشايخ الحافظ ابن حجر.

الردّ على القائلين: إن الله جرم متصل بالعرش

ثم إن المتكلمين على لسان أهل السنة قالوا: الموجود ثلاثة أقسام موجود متحيز قائم بنفسه وهو الجواهر والأجسام وهي ما تركب من جوهرين فأكثر كالإنسان والحيوان والشجر والقمر والعرش والنور والريح ونحو ذلك، وموجود غير قائم بنفسه تابع للمتحيز وهو العرض كحركة الجوهر وسكونه وحرارته وبرودته وطعم الحلاوة وطعم المرارة، وموجود ليس بمتحيز ولا تابع لمتحيز وهو الله، والدليل النقلي على ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كمثلِهِ شَيْءٌ﴾[58]، لأنه لو كان كأحد القسمين الأولَين لكان له أمثال، وقد نفت هذه الآية مشابهة الله لغيره بوجه من الوجوه لأن كلمة شيء المذكورة في الآية وقعت نكرة في معرض النفي فهي للعموم لا للخصوص كما تدعي مشبهة العصر الوهابية أن معناها أنه لا يشبه شيئا من الأشياء التي نعرفها ليتوصلوا بهذا إلى إثبات عقيدتهم أن الله جرم متصل بالعرش، فكأنهم قالوا الله لا يشبه بعض الأشياء، ويشبه بعض الأشياء وكفاهم هذا إلحاداً.

قال الطحاوي: وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا.

أي أن الله سبحانه وتعالى قدّر مقادير الخلق من الخير والشر والطاعة والمعصية والرزق والسعادة والشقاوة ونحو ذلك، قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»[59]، وروي

---

58 سورة الشورى الآية 11.

59 الإمام مسلم، الصحيح، كتاب القدر.

هذا الحديث بلفظ «قدَّر»[60]، والمراد بالتقدير في الحديث وجود الحروف على اللوح المحفوظ، ليس التقدير الذي هو صفة لله.

معني القدر

ثم القدر على وجهين: أحدهما الحد الذي يخرج عليه كل شيء على ما جعل عليه من خير وشر وحسنٍ وقبحٍ، وحكمةٍ وسفهٍ وهو تفسير الحكمة بالنسبة إلى الله تعالى في وصفنا له بالحكيم. والثاني هو بيان ما يقع عليه كل شيء من خير وشر وما له من الثواب والعقاب، وإذا أطلق بمعنى الصفة الأزلية لله تعالى كان بمعنى التدبير، قاله الزجاج من اللغويين، وهو بهذا المعنى لا ينقسم إلى خيرٍ وشرٍ.

قال الطحاوي: وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالاً.

أي أن الله تعالى قدر آجال الخلائق من الآدميين والجن وغيرهم من المخلوقات بحيث إذا جاء أجلهم لا يستقدمون عنه ساعة ولا يستأخرون، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُوْنَ سَاْعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُوْنَ﴾.[61]

معنى الأجل

ويجوز أن يقال الأجل عبارة عن وقت يخبئ الله تعالى فيه الموت. فعُلمَ بهذا أن المقتول ميت بأجله، وأن القتل فعلٌ يخلق الله تعالى عَقِبه في الحيوان الميت. وعند المعتزلة الضالين:

---

60 الإمام النووي، فتح الباري، ج6، ص221.

61 سورة الأعراف، الآية 34.

المقتول مقطوع عليه أجله، قالوا: لو لم يقتل لعاش إلى أجله فكان له أجلان، وهذا باطل لأنه لا يليق به تعالى أن يجعل له أجلاً يعلم أنه لا يعيش إليه البتة، أو يجعل أجله أحد الأمرين كفعل الجاهل بالعواقب، والدليل على ذلك الآية المذكورة آنفا، ووجوب القصاص والضمان على القاتل لارتكابه المنهي ومباشرته لِمَحَل قدرته فعلاً أجرى الله تعالى العادةَ بتخليق الموت عَقِبَه، وعلى هذا الأصل يُخرَّج قوله ﷺ: «صِلَة الرَّحِم تزيد في العُمُر»[62]. يعني كان في علم الله تعالى، أو لولا هذه الصلة ما كان عمره كذا، ولمنه علم أنه يصل رحمه فيكون عمره أزيد من ذلك، فيكون المعلوم والمحكوم أنه يصل رحمه ويعيش إلى هذه المدة، لما علم أنه تعالى يعلم ما يكون، ويعلم أن ما لا يكون لو كان يكون كيف يكون، كما قال تعالى في حق الكفار: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِما نُهُوا عنه﴾[63]، وإن كان بعلم أنهم لا يردّون.

لم يخفِ عليه شيء من أفعالهم قبل أن يخلقهم، لأنه سبحانه وتعالى عالم بالكليات والجزئيات قبل وجودها بعلمه الأزلي الأبدي، إذ علمه صفته وهي قائمة بذاته، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَن في السَموات والأرضِ الغيبَ إلا الله﴾[64].

قال الطحاوي: وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ.

أي أن الله تعالى عالم قبل أن يخلق الخلق ما هم عاملون بعد خلقهم. وقالت غلاة القدرية: إنه لا يعلم الشيء ما لم يخلقه ولم يوجده، وقالت بذلك جماعة عبد الهادي الباني تلميذ أمين شيخو الدمشقي و(هذه) أشار (من) المؤلف رحمه الله إلى بطلان قولهم.

---

62 أخرجه القضاعي في مسنده، ج1، ص93.

63 سورة الأنعام، الآية 28.

64 سورة النمل الآية 65.

قال الطحاوي: وَأَمَرَهُمْ بِطَاْعَتِهِ، وَنَهَاْهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

إن الله تعالى أمر العباد بالطاعة ونهاهم عن المعصية تحقيقا لمعنى الابتلاء، لأن أوامر الله تعالى ونواهيه لابتلاء العباد واختبارهم، ليظهر المطيع من العاصي على حسب ما سبق به علمه، ويتحقق منهم ما خلقوا له من الطاعة والعبادة، ولينتهوا عما نهوا عنه من المعاصي مضافا إلى اختيارهم وكسبهم لا جبرا كما ذهب إليه الجبرية، وعلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَمَاْ خَلَقْتَ الجِنَّ والإِنْسَ إلا لِيَعْبُدُوْنِ﴾[65]، أي لآمرهم بعبادتي وأنهاهم عن معصيتي.

قال الطحاوي: وَكُلُ شَيْءٍ يَجْرِيْ بِتَقْدِيْرِهِ وَمَشِيْئَتِهِ، وَمَشِيْئَتُهُ تُنْفِذُ، لا مَشِيْئَةَ لِلْعِبَاْدِ إِلا مَا شَاءَ لَهُمْ، فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

يعني أن كل شيء من الكائنات يوجد بتقدير الله تعالى الذي هو صفة له أزلية أبدية، وأنه لا مشيئة للعباد في أنفسهم وأفعالهم إلا ما شاء الله تعالى لهم، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إلا أَنْ يَشَاءَ الله﴾[66]، علَّق مشيئتهم لما يصدر منهم بمشيئته تعالى فلا تُوجَدُ دُونَهَا.

قال الطحاوي: يَهْدِيْ مَنْ يَشَاءُ، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِيْ فَضْلاً، وَيَضِلُ مَّنْ يَشَاءُ، وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِيْ عَدْلاً.

أي أن الله تعالى يهدي من يشاء من عباده إلى طاعته، ويعصمه أي يحفظه من معاصيه، ويعافيه في دينه ونفسه فضلا منه تعالى لا لأنه مُلْزَمٌ بذلك، ويضلُّ من يشاء

65 سورة الذاريات، الآية 56.

66 سورة الدهر الآية 30.

من عباده، ويخذله أي يترك حفظه ونُصرتَه ويبتليه في نفسه ودينه عدلاً منه تعالى لا ظلما وجوراً، فعلم بذلك بطلان مذهب المعتزلة وهو قولهم: إنه ملزم بما هو الأصلح للعباد، لأن الحق له أن يتصرف فيهم كيف شاء، لأن العالَم مُلكُه وهو المالك الحقيقي له، فله أن يتصرف في مملوكه كيفما يريد. *

ومن أدلة أهل الحق قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ولَكِنَّ الله يَهْدى مَنْ يَشَاءُ﴾[67]، هذه الآية نزلت في أبي طالب لما مات كافراً وكان الرسول دخل عليه في معرض وفاته، فعرض عليه الإسلام فأبى أن يقول: لا إله إلا الله، بل قال: إني على ملة عبد المطلب. فمعنى الآية: إنك يا محمد لا تهدي من أحببت الاهتداء له وهو عمُّه لأنه كان يحب له أن يهتدي وإن كان لا يحب شخصه لكفره، وإنما الله تعالى يهدي من شاء في الأزل له أن يهتدي، فالضمير في "يَشَاءُ" عائد إلى الله.

قال الطحاوي: وَكُلُهُمْ يَتَقَلَبُوْنَ فِيْ مَشِيْئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ.

أي أن كل الخلائق يتقلبون في مشيئة الله تعالى بين فضله إن هداهم وبين عدله إن أضلّهم، ومعنى هداية الله خلقه الاهتداء في قلب من شاء من عباده، ومعنى إضلاله لمن أضلّهم من عباده خلقه الضلالة في قلوبهم وهذا لا يكون إلا لله، فلا يمكن للعبد أن يكره قلب إنسان على الهداية ولا على الضلالة، وغاية ما يحصل عند إجبار عبد لعبد على فعل حقٍّ أو باطلٍ الاستيلاء على ظاهر العبد.

---

67 سورة القصص الآية 56.

* عرف المعتزلة العدل الإلهي بأنه "فعل الأصلح لعباده"، أما الأشاعرة فقالوا معناه "التصرف في الملك على مقتضى الإرادة".

قال الطحاوي: وَهُوَ مُتَعَاْلٍ عَنِ الأَضْدَادِ وَالأَنْدَادِ.

يعني أن الله تعالى مرتفع بالعظمة والكبرياء لا بالمكان، أي ليس معناه أن الله مرتفع على العرش لا يصل إليه أحد من أعدائه، والأنداد جمع ند وهو المثل والمنادُّ يقال: نادِدتُ الرجل بمعنى نافَرته، ويقال ندّ ندودا إذا نفر، وأما الأضداد فهو جمع ضدٍّ، وفي الصحاح الضدُّ النظير أي لا نظير له، وعلى هذا يكون الجمع بين الأنداد والأضداد زيادة تأكيد لمعنى الكلمة الأولى، والأشهر استعماله بمعنى ما لا يجتمع مع مقابله.

قال الطحاوي: لا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلا مُعَقِبَ لِحُكْمِهِ، وَلا غَالِبَ لأَمْرِهِ.

أراد بالقضاء التكوين الذي لا يقدر العباد على ردِّه لأن ما شاء الله كان، وذلك لأن في ردّ قضائه إثبات عجزِهِ والعجز على الله محال، أي لا يَرُدُّ قضَاءَ الله رادٌّ، وقوله: "ولا معقب لحكمه" أي لا مؤخر لحكمه، وقوله: "ولا غالب لأمره" معناه لا يَغْلِبُ أمرَ الله غالب، والأمر هنا بمعنى المفعول والمقدَّرِ الذي أراد وجوده لا بمعنى الكلام.

قال الطحاوي: آمنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَيْقَنَّا أَنَّ كُلاً مِنْ عِنْدِهِ.

أي صدقنا تصديقا جازما وأيقنا إيقانا لا تردد فيه أن كلا من عند الله، وفي بيان أن الله تعالى هو خالق الخير والشر بإرادته وقضائه، فمن خالف في ذلك فقد ردّ قول الله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ﴾.[68]

[68] سورة فاطر الآية 3.

قال الطحاوي: وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى، وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى، وَرَسُوْلُهُ الْمُرْتَضَى.

المصطفي والمجتبى معناهما واحد، وكذلك المرتضى متحدٌ في المعنى معهما، لكن المصطفي والمجتبى فيهما زيادة مدح على المرتضى.

إرسال الرسل ليس واجبا على الله تعالى

ثم إرسال الرسل ليس واجبا على الله بل الله تبارك وتعالى متكرم بذلك، ولو لم يرسل لم يكن ذلك نقصا على الله تعالى، وقالت البراهمة وبعضُ غيرهم: إرسال الرسل محال، قالوا: لأن الرسول لو أتى بما اقتضاه العقل فبالعقل عمّا أتى به غُنية، فيكون خاليا عن الجدوى فيكون عبثا وهو لا يليق بالحكيم، ولو أتى بما يأباه العقل فهو مردود، لأن العقل حجة الله تعالى إجماعا فلا تتناقض حججه، فما يأباه العقل يكون باطلا، قال أهل الحق: الأنبياء يأتون بما قصُر العقل عن معرفته لأن الرسالة سفارة بين الله تعالى وبين ذوي الألباب من خليقته، ليزيل بها عِلَلَهم فيما قصرت عنه عقولهم، وهذا لأن العقل إن وقف على الواجب والممتنع العقليين لا بدّ وأن يتوقف في الجائز، إذ كلا طرفي الجواز يتساويان في قضية العقل، وربما تتعلق به العاقبة الذميمة وليس في العقول إمكان الوقوف على ذلك، فلا بدّ من البيان ممن له الاطلاع على العواقب ليميز بالعقل فيُقبِلَ على ماله العاقبة الحميدة ويُعرضَ عما له العاقبة الذميمة.

لا يجب تصديق مدعي النبوة بدون معجزة

ثم إذا ادّعى واحد الرسالة في زمان جوازها وهو قبل مبعث النبي لا يجب قبوله بدون معجزة، والمعجزة في اللغة مشتقة من العجز، والمراد ما يظهر عجز الخلق عن معارضته، و"التّاء" في المعجزة للمبالغة لا للتأنيث كالعلاّمة والنسابة. وتعريف المعجزة

في الاصطلاح: أمر إلهي خارق للعادة في دار التكليف لإظهار صدق مدعي النبوة مع عجز من ينازعه عن معارضته بمثل ذلك الأمر الإلهي، وإنما قيد بدار التكليف وهي الدنيا ليخرج الخارق للعادة في العقبى، وبإظهار صدقه لأن الناقض لو ظهر لإظهار كذبه بأن قال: دليل صحة نبوتي شهادة هذا الحجر لي بذلك فأنطق الله الحجر بتكذيبه لا يكون معجزة بل يكون دليل كذبه في دعواه النبوة، إذ ظهور الناقض للعادة على يد مدعي الألوهية جائز لظهور أمارات الحدث فيه، وكذا على يد الوليّ جائز عندنا كرامة له، وهو لا يدعي النبوة ولو ادعاها لكفر، وبالعجز عن المعارضة بالمثل ما يمكن معارضته إذ لو عارضه بمثله لدلّ على صدق مُكَذِّبه فيتعارضان فيسقطان أي كالبيِّنتين المتناقضتين.

هل يجوز إظهار المعجزة على يد المتنبئ؟

فإن قيل: لم لا يجوز إظهار المعجزة على يد المتنبئ إضلالاً للخلق، ويجوز منه تعالى خلق الضلالة فيهم وترك ما فيه صلاحهم عندكم؟ قلنا: لأنا نقول لو ظهرت على يد الكاذب لكان تكليف الخلق بتصديق الأنبياء تكليفاً بما لا يطاق، وإنه غير جائز وغير ثابت بالنص والإجماع. ووجه دلالة المعجزة أنه لما إدّعى الرسالة وقال: إن صِدقَ دعوايَ أن الله تعالى أرسلني لفعل كذا ففعل الله تعالى ذلك كان منه تصديقا في دعواه الرسالة كقوله عقب دعواه: صدقتَ، إذ التصديق بالفعل كالتصديق بالقول، فيستحيل من الحكيم تعالى تصديق الكاذبين.

ثبوت نبوة سيدنا محمد ﷺ بالمعجزات البينات

ثم إن نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله لأنه ادّعى النبوة وهو معلوم

بالتواتر، وظهرت المعجزات على يديه كانشقاق القمر ليلة البدر، وانجذاب الشجر إليه مراراً، وتسليم الحجر عليه، ونبع الماء من بين أصابعه، وحنين الجذع إليه حين انتقل إلى المنبر وكان يستند إليه عندما يخطب، فالتزمه نبي الله حتى سكن، وسقيه الكثير من الناس القليل من الماء حتى كفاهم، ومن معجزاته القرآن وهو أظهرها وأقواها وهو من أعجب الآيات وأبين الدلالات، إذ هو ءاية حسية عقلية باقية إلى يوم القيامة، منتشر في الأطراف، مبثوث في الآفاق، بخلاف غيره من المعجزات فإنها تختص بزمان أو مكان، باين نظمه العجيب وجوه النظم، وتحدى به جميع الأنام وقرعهم بالإفحام، فلم يتصدّ للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من مصاقع الخطباء، ولم ينهض بمقدار أقصر سورة منه ناهض من فحول الشعراء البلغاء مع أنهم أكثر من حصى البطحاء ورمال الدهناء[69]، فدلّ عجزهم على أنه كان معجزة من الله تعالى لتصديق نبيه، ولا يُظنُّ بهم وهم أكثر خَلِيقة الله تعالى حِقدا وعصبية أنهم امتنعوا عن المعارضة مع القُدرة، وقد خاطروا بمهجهم وبذلوا أموالهم وتحملوا المشاقّ الشديدة والمتاعب الصعبة: من جرّ العساكر، وتجريد البواتر، وحمل الرماح الخواطر والخوض في المهالك، وتقحم غمرات المعارك لإطفاء نوره، وقد تحدى به أولاً وأظهر السيف ءاخراً فلم يعارضوه إلا بالسيف وحده، ولو عارضوه في أقصر سورة منه لظهرت نصرتهم وكُفُوا مؤنة قتالهم، فبان أنهم امتنعوا عن ذلك عجزاً واضطراراً لا اختياراً وإيثاراً.

ثم إعجاز القرآن لكمال فصاحته ونهاية بلاغته، وقيل في ذلك عبارات أخرى. ولما ثبت صدق الرسول ﷺ وعصمته فيما يبلغه عن الله تعالى وجب التصديق بكل ما أخبر من أمور الغيب جملة وتفصيلاً، فإن كان مما يعلم تفصيله وجب اعتقاده، فإن لم يعلم

---

69 الدهناء: أرض كثيرة الرمل في الجزيرة العربية.

تفصيله وجب أن يؤمن به جملة، ويرد تأويله إلى الله تعالى ورسوله لمن اختصه الله عزّ وجلّ بالاطلاع على ذلك.

قال الطحاوي: وإِنَّه خاَتِمُ الأَنْبِيَاءِ.

والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿وَلَكِنْ رَسُوْلَ اللهِ وَخَاْتَمَ النَّبِيّيْنَ﴾[70]، وقوله ﷺ «وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي»[71]، ومخالفة القاديانية أتباع غلام أحمد القادياني الباكستاني الذي ادعى النبوة لهذا وتأويلهم للخاتم بمعنى الزينة كفر. وهذا غلام أحمد قال عن نفسه إنه نبي رسول، وقال إنها نبوة تجديدية، وقال إنها نبوة ظلية أي تحت ظل محمد.

ثم المسلمون قاموا ليقتلوه أول ما دعا إلى الإيمان بأنه نبي فاحتمى بالإنجليز، فشرطوا عليه أن يعطل حركة الجهاد في الهند كلها، فقال فيما ادعى أنه وحي من الله: يجب علينا شكر الدولة البريطانية لأنهم أحسنوا إلينا بأنواع الامتنان، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، وحرام علينا وعلى جميع المسلمين محاربة الإنجليز. فوفى لهم بالشرط الذي طلبوا منه، ثم قام مقامه بعض ذريته لتلك الدعوة.

ومن جملة تمويههم أنهم يقولون: معنى "لا نبي بعدي" المذكور في الحديث لا نبي ءاخر في حال حياتي، وهذا تحريف للحديث، بل معناه أنَّ محمداً ءاخر النبيين لا يأتي بعده نبي إلى يوم القيامة.

---

70 سورة الأحزاب الآية 40. وقوله " وقد خاطروا بمهجهم" أي بروحهم ودمهم.

71 البخاري، الصحيح، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ.

قال الطحاوي: وَإِمَاْمُ الأَتْقِيَاءِ.

المعنى أن الرسول ﷺ إمام الأتقياء بمعنى الأفضل. والإمام من يؤتم به أي يُقتدى به، والنبي ﷺ إنما بُعث للاقتداء بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ اللهَ فَاتَبِعُوِنِيْ يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[72] وكل من اتُبع واقتُدى به فهو تقي.

قال الطحاوي: وَسَيِدُ اَلْمُرْسَلِيْنَ.

أي أفضلهم ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلْنَاْسِ﴾[73] فلما كانت أمته خير الأمم كان هو أفضل الأنبياء، وقوله ﷺ «أنا سيد الناس يوم القيامة» رواه البخاري وغيره[74].

قال الطحاوي: وَحَبِيْبُ رَبِّ اَلْعَاْلَمِيْنَ.

أي محبوبه، وذلك لأخبار ثابتة منها قوله ﷺ: «وأنا حبيب الله ولا فخر».[75]

قال الطحاوي: وَكُلُّ دَعْوَىْ اَلْنُبُوَةِ بَعْدَهُ فَغَيٌ وَهَوَىْ.

أي أن من ادعى النبوة بعده ﷺ فدعواه باطلة وضلالٌ وخيبةٌ وهوى أي ميل نفساني مذموم، لأن الهوى عبارة عن شهوة النفس وميلها إلى الباطل، قال تعالى:

---

72 سورة ءال عمران الآية 31.

73 سورة ءال عمران الآية 110.

74 البخاري، الصحيح، كتاب التفسير.

75 الترمذي، السنن، كتاب المناقب.

﴿وَنَهَى اَلْنَفْسَ عَنِ اَلْهَوَى﴾[76] فتكون تلك الدعوة بسبب هوى النفس لا على دليل، ويطلق الهوى بمعنى المحبة إن كان في خير أو شر.

قال الطحاوي: وَهُوَ اَلْمَبْعُوْثُ إِلَىْ عَاْمَةِ اَلْجِنِّ وَكَاْفَةِ اَلْوَرَىْ بِاَلْحَقِ وَاَلْهُدَىْ وَبِالْنُّوْرِ وَاَلْضِّيَاءِ.

إن النبي ﷺ مبعوث إلى عامة الجن لقوله تعالى: ﴿أَجِيْبُوْا دَاْعِيَ اللهِ﴾[77]، حكاية عن قول الجن، بدليل سياق الآية وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَاْ إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ اَلْجِنِّ يَسْتَمِعُوْنَ اَلْقُرْءَاْنَ﴾[78]، وفي هذا دليل على أنه كان مبعوثا إلى الجن كما كان مبعوثا إلى الإنس.

اتفاق أهل الحق على أن الجن مكلفون

واتفق أهل الحق على أن الجن مكلفون، وليس للجن نبيٌّ من أنفسهم، وأما قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ اَلْجِنِّ وَاَلإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّوْنَ عَلَيْكُمْ ءَاْيَاْتِي﴾[79]، فالمراد أنه أريد بذلك الرسل من بني آدم. وقال بعض السلف: كان في الجن رسل كما أن في الإنس رسلا، ويقال في الجواب عمّا ذهب إليه البعض: إنه ليس في الآية أكثر من أن رُسُل الجن والإنس يكونون بعضا من أبعاض هذا المجموع.

وقال بعض العلماء: إنه لا يمتنع أن يقال إن الرسل من الإنس حقيقة وأما الرسل

76 سورة النازعات، الآية 40.

77 سورة الأحقاف، الآية 31

78 سورة الأحقاف، الآية 29

79 سورة الأنعام، الآية 130.

من الجن فهم رسل الرسل فهم يبلغون عن رسل البشر، فكانوا رسل الله بواسطة، فصح أن يقال: إنهم رسل الله كما قيل في قوله تعالى في حق أمة عيسى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾.[80]

اختلاف السلف في رؤية النبي للجن عند التبليغ

ثم اختلف السلف في رؤية النبي للجن عند التبليغ، فقال بعضهم: لم يرَ الجنّ وقال بعضٌ: إنه بالمسير إليهم ليقرأ القرءان عليهم ويدعوهم إلى الإسلام، ويمكن الجمع بين القولين بأن من قال: إنه عليه السلام لم يرهم، قالوا: أوحي إليه أولاً أن الجنّ استمعوا إليه من غير أن يراهم وذلك قوله الله تعالى ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوْا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَباً﴾[81]، أخبره الله بالوحي أنه جاء إليه نفر من الجن وهو لم يشعر بهم استمعوا القرءان فآمنوا، ولما خرج النبي للاجتماع بهم ليلا وكان ذلك المكان خارج المدينة وقد أمر بالخروج إليهم اجتمع بهم فرأى ءاثارهم.

مخالفة اليهود والنصارى في ثبوت الرسالة لسيدنا محمد

وخالف اليهود في ثبوت الرسالة لسيدنا محمد وكذلك النصارى، أما اليهود فقد أنكروا نبوته أصلا ونبوة عيسى، وزعموا افتراء أن موسى قال لهم: "إني خاتم الأنبياء، فعليكم بديني مادامت السموات والأرض". وأما النصارى فقد افترقت في ذلك فرقتين فأنكرت طائفة منهم نبوته أصلا وادعوا أن عيسى عليه السلام ءاخر الأنبياء كما ادعت اليهود في حق موسى عليه السلام، وأقرت طائفة برسالته إلى العرب خاصة لا إلى كافة

80 سورة يس، الآية 14.

81 سورة الجن، الآية 1.

الخلق.

قال الطحاوي: وَأَنَّ اَلْقُرْآنَ كَلاَمُ الله، مِنْهُ بَدَا بِلاَ كَيْفِيَّةٍ قَوْلاً، وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُوْلِهِ وَحْياً، وَصَدَّقَهُ اَلْمُؤْمِنُوْنَ عَلَى ذَلِكَ حَقًا، وَأَيْقَنُوْا أَنَّهُ كَلاَمُ الله تَعَاْلَىْ بِاَلْحَقِيْقَةِ، لَيْسَ بِمَخْلُوْقٍ كَكَلاَمِ اَلْبَرِيَةِ، فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلاَمُ اَلْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللهُ وَعَاْبَهُ وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرَ، حَيْثُ قَاْلَ تَعَاْلَىْ: ﴿سَأُصْلِيْهِ سَقَرَ﴾[82]، فَلَمَّاْ أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرَ لِمَنْ قَاْلَ: ﴿إِنْ هَذَاْ إِلاَ قَوْلُ اَلْبَشَرِ﴾[83]، عَلِمْنَاْ وَأَيْقَنَّاْ أَنَّهُ قَوْلُ خَاْلِقِ اَلْبَشَرِ، وَلاَ يُشْبِهُ قَوْلَ اَلْبَشَرِ.

قوله: "**وَأَنَّ اَلْقُرْآنَ كَلاَمُ الله، مِنْهُ بَدَا بِلاَ كَيْفِيَّةٍ قَوْلاً**" معناه أن القرءان من الله بدا أي ظهر إنزالاً على نبيه، وليس المراد من كلمة "بدا" أنه خرج منه تلفظا كما يخرج الكلام أحدنا من لسانه تلفظا بعد أن كان ساكتاً كما تقول المشبهة، بدليل قوله: "بلا كيفية" أي ليس بحرف ولا صوت، لأن الحرف والصوت كيفية من الكيفيات.

بيان أن لفظ القرءان له وجهان

فقولنا القراءن كلام الله له وجهان:

أحدهما: الكلام الذاتي الذي هو منزه عن الكيفية أي الهيئة كالحركة والصوت، إذ يستحيل عقلا أن يكون الذات الأزلي الأَبَدِي متصفا بصفة حادثة، فالحرف والصوت لا يكونان إلا حادثين فيجب تنزيه الذات المقدس عن الاتصاف بذلك.

والثاني: اللفظ المنزل الذي هو عبارة عن الكلام الذاتي الذي هو صفة الذات المقدس

---

82 سورة المدثر، الآية 26.

83 سورة المدثر، الآية 25.

عن الحدوث والانقضاء، ويدل على هذا الوجه الثاني قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلِ رَسُوْلٍ كَرِيْمٍ﴾[84]، حيث أضافه إلى جبريل، وجبريل حادث فلو كان القرءان يراد به حيث ذكر كلام الله الذاتي لم يضفه الله تبارك وتعالى إلى حبريل الذي هو المراد بالرسول الكريم، لكن لما كان يصح إطلاق القرءان على الوجهين جاز ذلك.

بيان معنى القراءة والمقروء والقرءان

والألفاظ المستعملة فيما يتعلق بالقرآن: القراءة والمقروء والقرءان.

فالقراءة: فعل العبد أي جبريل والنبي وسائر المؤمنين الذين يقرؤونه، وقد ورد اسناد القراءة إلى الله تعالى مرادا به قراءة جبريل لأنها بأمر الله تعالى: قال الله تعالى: ﴿فَإِذَاْ قَرَأْنَاْهُ فَاتَبِعْ قُرْءَاْنَهُ﴾[85]، ولا معنى لذلك إلا أن جبريل يقرؤه على النبي بأمر الله تعالى له بذلك، وأما أن يكون الله تعالى يقرؤه بذاته على النبي شيئا فشيئا فهو تشبيه لله بخلقه فتعين المصير إلى أن قوله تعالى: ﴿فَإِذَاْ قَرَأْنَاْهُ﴾[86]، إسناد منه لقراءة جبريل التي هي بأمره إلى نفسه لكونه الآمر جبريل بذلك.

وأما المقروء: فهو كلام الله الذي هو صفته، والمراد بقولهم: إنه مقروء، قراءة الألفاظ التي هي عبارة عنه، فهو أي الكلام الذاتي مقروء بالتعبير عنه بالألفاظ التي هي عبارة عنه، فالله تبارك وتعالى يسمى متكلما لأنه متصف بكلام قائم بذاته أزلي أبدي ليس يحدث ثم ينقضي ثم يحدث ثم ينقضي ثم يحدث ثم ينقضي إلى ما لا نهاية.

وأما القرءان: فهو لفظ مشترك، فتارة يطلق على القراءة التي هي مخلوقة قال الله

---

84 سورة الحاقة، الآية 40.

85 سورة القيامة، الآية 18.

86 سورة القيامة، الآية 18.

تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾[87]، أي القراءة في صلاة الفجر، وتارة يطلق على المصحف، دون القراءة، قال النبي ﷺ: «لا تسافروا بالقرءان إلى أرض العدو»[88]، نهى عن المسافرة بالمصحف إلى أرض الكفار صيانة له من الاستخفاف به، ولم يرد به النهي عن القراءة، ويعرف القراءن بمعنى اللفظ بقولهم: اللفظ المنزل على سيدنا محمد للإعجاز بأقصر سورة منه.

مذهب أهل السنة في مسألة كلام الله

واعلم أن الناس في كلام الله ثلاث فرق:

أهل السنة يقولون إن كلامه تعالى نفساني قائم بذاته تعالى قديم منزه عن الحرف والصوت، وما يأتينا من الحروف والأصوات الدالة عليه لسان الرسل حادث، ولكن نتجنب إطلاق هذا الاسم عليه أدبا إلا عند الحاجة إلى البيان ليعلم، ويطلق أن كلام الله منزه غير مخلوق تأسيا بالسلف الصالح وحذرا من إيهام نفي الكلام الأزلي.

الفرقة الثانية المعتزلة لا يثبتون كلام النفس.

والفرقة الثالثة الحشوية القائلون بأنه يتكلم بحرف وصوت قائم بذاته، وهو قسمان: قسم يلتزمون حلول الحوادث بذاته، تعالى الله عن قولهم، وشرذمة يقولون الحروف والأصوات قديمة، وهؤلاء لا يفهمون ما يقولون لأنا نعلم ضرورة بأن الكاف قبل النون ولا يجتمعان في زمن واحد، ثم يلزمهم ما لزم النصارى في اعتقادهم أن صفة من صفات الله القديمة وجدت بالمسيح، أما كلامه أو علمه فأثبتوا قدمه. وكفرهم جميع المسلمين وتبرؤوا منهم وبينوا أن الصفة الواحدة يستحيل أن توجد في موصوفين كما لا يصح أن

---

87 سورة الإسراء، الآية 78.

88 أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار، ج2، ص369.

يوجد جوهر واحد في مكانين، وكيف يستقيم بعد ذلك أن يقال إن صفة الله التي هي كلامه القديم وجدت في المصاحف والمحدثات؟ بل هذا شر من قول النصارى لقصرهم ذلك على المسيح وحده، وهؤلاء يقولون إن كلام الله تعالى وجد في أكثر المخلوقات، ولقد كثر تشنيعهم على الأشاعرة في هذه المسألة، ولو تنبهوا لشر مقالتهم لعلموا أنها الأشنع.

مذهب أهل السنة في قبول أحاديث الصفات

ليس في إثبات الصوت لله تعالى حديث مع الصحة المعتبرة في أحاديث الصفات، لأن أمر الصفات يُحتاط فيه ما لا يحتاط في غيره، ويدل على ذلك رواية البخاري القدر الذي ليس فيه ذكر الصوت من حديث جابر هذا بصيغة الجزم، وروايته للقدر الذي فيه ذكر الصوت بصيغة التمريض، فتحصل أن في أحاديث الصفات مذهبين:

أحدهما: اشتراط أن يكون في درجة المشهور، وهو ما رواه ثلاثة عن ثلاثة فأكثر، وهو ما عليه أبو حنيفة وأتباعه من الماتريدية، وقد احتج أبو حنيفة رضي الله عنه في رسائله التي ألفها في الاعتقاد بنحو أربعين حديثا من قبيل المشهور.

والثاني: ما ذهب إليه أهل التنزيه من المحدثين، وهو اشتراط أن يكون الراوي متفقا على ثقته. فهذان المذهبان لا بأس بكليهما.

أما الثالث وهو ما نزل عن ذلك فلا يحتج به لإثبات الصفات.

قال الطحاوي: وَمَنْ وَصَفَ اللهِ بمَعْنَىً مِنْ مَعَاْنِيْ اَلْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ.

أي أن من وصف الله تعالى بوصف من أوصاف البشر المحدثة فقد كفر، لإثباته المماثلة بينه تعالى وبين خلقه، وذلك منفيٌّ بالنصّ وهو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كمثلهِ شَيْءٌ﴾.[89]

وبالقضية العقلية وهي أنه لو كان متصفا بصفة من أوصاف البشر لكان يجوز على البشر من حدوث وفناء وتطور أي تنقل من حال إلى حال، وتغير من حالة القوة إلى حالة الضعف، أو من صفة الحياة إلى الموت، ومن جاز عليه ذلك فلا يصلح أن يكون مكوناً للحادثات التي تختلف عليها الصفات والأحوال، فيؤدي وصف الله تعالى بصفة من أوصاف البشر إلى جعله حادثاً من الحادثات، والألوهية والحدوث لا يجتمعان.

قال الطحاوي: فَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا اعْتَبَرَ، وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الكُفَّارِ انْزَجَرَ، وَعَلِمَ أَنَّهُ بِصِفَاْتِهِ لَيْسَ كَالبَشَرِ.

قوله: "اعتبر" أي اعتبر نفسه بالكفار القائلين بالمماثلة المستحقين لسقر، ليكفَّ عن مثل ذلك القول لئلا يلزمه ما لزمهم من العذاب، ويعلم أنه يجب أن يعلم ويتيقن أن الله تعالى بصفاته ليس كالبشر بصفاته، لأن صفاته قديمة وصفاتهم محدثة، ولا مشابهة بين القديم والحادث، إذ القديم ما لا ابتداء لوجوده والحادث ما لوجوده ابتداء. وقوله "أبصر" أراد بالبصر بصر القلب لا بصر العين.

قال الطحاوي: وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لأَهْلِ الجَنَّةِ بِغَيْرِ إِحَاْطَةٍ وَلا كَيْفِيَةٍ كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا ﴿وُجُوْهٌ يَوْمَئِذٍ نَاْضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[90] وَتَفْسِيْرُهُ عَلَى مَا أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى وَعَلِمَهُ،

---

89 سورة الشورى الآية 11.

90 سورة القيامة، الآية 22. 23.

وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِن الحَدِيْثِ الصَحِيْحِ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَاْدَ، لا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِلِيْنَ بِآرَائِنَا، وَلا مُتَوَهِمِيْنَ بِأَهْوَائِنَاْ.

هذا الفصل في إثبات رؤية الله في الآخرة، أي أن المؤمنين يرون الله في الآخرة، وهذا حق يجب الإيمان به، يرونه بأبصارهم من غير مسافة بينهم وبين الله لا كما يُرى المخلوق، لا يجوز ذلك لأن الذي يكون بينك وبينه مسافة يكون محدودا، إما أن يكون أعظم جرماً منك أو أصغر منك أو مثلك، وهذا كله لا يجوز على الله فلذلك أهل السنة يثبتون رؤية الله في الآخرة من غير تشبيه ولا جهة ولا مسافة، ولا تكون رؤية الله كما يُرى المخلوق، لأن المخلوق إذا رأيته تراه في جهة أمامك، أو في جهة خلفك تلتف إله فتنظر إليه، أو في جهة يمينك، أو في جهة يسارك أو في جهة فوقك، أو في جهة تحتك أو في جميع الجهات كما إذا كنت ضمن غرفة فإنها محيطة بك.

بيان معنى التأويل وأنواعه

ومراد المؤلف رحمه الله بقوله: "لا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِلِيْنَ بِآرَائِنَا" التأول الذي يكون بلا دليل عقلي قطعي ولا دليل سمعي ثابت كتأويل المعتزلة لآية إثبات الرؤية وهي: ﴿وُجُوْهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاْضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[91] حيث أولوا النظر بانتظار نعمة الله، فإن هذا لا يدعو إليه دليل عقلي ولا دليل سمعي وإنما هو تحريف، ولا يعني ردّ تأويل أهل السنة التأويل التفصيلي لآيات الصفات وأحاديثها المتشابهات، كتأويلهم استواء الله على عرشه بالقهر، وتأويل بعضهم بالعلو على العرش كمجاهد حيث أوّل قوله تعالى: ﴿اسْتَوَىْ عَلَىْ اَلْعَرْشِ﴾[92] بعلا على العرش، ومراده العلوُّ المعنوي أي علوّ القدرة والقهر، ولا

91 سورة القيامة، الآية 22 ـ 23.

92 سورة الأعراف، الآية 54.

التأويل الإجمالي كقول من قال في ءاية الاستواء: الاستواء بلا كيف، وفي حديث النزول بلا كيف، فلا يصح حمل عبارة الطحاوي تلك على أنه ينفي التأويل الإجمالي أو التفصيلي لأن عبارته في عقيدته هذه صريحة في نفي التحيز في المكان أو ما أشبه ذلك من لوازم الجسمية وهي كثيرة منها: المجيء بالحركات، والنزول والصعود بالحركات.

قال الطحاوي: فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِيْنِهِ إِلا مَنْ سَلَّمَ للهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُوْلِهِ ﷺ، وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَاْلِمِهِ.

أي فإنه ما سلم في دينه عن هوى النفس إلا من سلم الأمر كله إلى الله تعالى فيما لا يمكنه دركه، إذ التسليم لله تعالى أن يرد علم ما اشتبه إلى عالمه وهو الله تعالى سبحانه.

قال الطحاوي: وَلا تَثْبُتُ قَدَمُ الإِسْلاَمِ إِلا عَلَى ظَهْرِ التَسْلِيْمِ وَالاِسْتِسْلاَمِ.

قدم الإسلام لا يثبت إلا على ظهر تسليم الأمر المشتبه علمه إلى عالمه، وأما الاستسلام فهو الانقياد لأوامر الله ونواهيه، فالمعنى أنه لا يصح الثبات على الإسلام إلى لمن سلّم لله تعالى ولم يعترض عليه ولم يصفه بما لا يليق به.

قال الطحاوي: فَمَنْ رَاْمَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيْمِ فَهْمُهُ، حَجَبَهُ مَرَاْمُهُ عَنْ خَاْلِصِ التَّوْحِيْدِ، وَصَاْفِي المَعْرِفَةِ، وَصَحِيْحَ الإِيْمَاْنِ.

أي فمن رام طلب أن يعلم ما منع عنه علمه ولم يقنع بتسليمه إلى عالمه، حجبه مرامه أي مطلوبة عن خالص التوحيد، إذ خلوصه مشروط بتسليم ذلك إلى الله عزّ وجلّ. وقوله: "وصافي المعرفة" أي ما لا يشوبه ولا يكَدره فإذا لم يسلم الأمر بذلك إلى الله لم يتهيأ له صفاء المعرفة بالله.

قال الطحاوي: فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الكُفْرِ وَالإِيْمَانِ، وَالتَصْدِيْقِ وَالتَكْذِيْبِ.

أي أنه يكون مضطربا مؤمنا ببعض وكافرا ببعض، والإيمان لا يكون مقبولا إلا بالإيمان التام الذي ليس فيه تجزئة من حيث التصديق، أما أن يصدّق ببعض ما جاء به الرسول ﷺ ويكذب ببعض فلا يكون إيمانا مقبولا، إنما ذلك إيمان جزئي من حيث اللغة.

قال الطحاوي: وَالإِقْرَارِ وَالإِنْكَارِ.

أي ويتذبذب أيضا بين الإقرار بالإيمان وبين إنكاره، وهذا بيان كونه مذبذبا.

قال الطحاوي: مُوَسْوِساً تَائِهًا شَاكًا لا مُؤْمِنًا مُصَدِقًا، وَلا جَاحِدًا مُكَذِبًا.

هذا تفسير وتأكيد لما قبل، أي فيكون موسوسا تائها عن طريق الحق شاكا زائغا مائلا عن الحق إلى الباطل.

قال الطحاوي: وَلا يَصِحُ الإِيْمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لأَهْلِ دَارِ السَّلاَمِ لِمَنْ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ، أَوْ تَأَوَلَهَا بِفَهْمٍ، إِذْ كَانَ تَأَوِيْلُ الرُؤْيَةِ وَتَأْوِيْلُ كُلِّ مَعْنَى يُضَافُ إِلَى الرُبُوْبِيَّةِ بِتَرْكِ التَأْوِيْلِ، وَلُزُوْمُ التَسْلِيْمِ، وَعَلَيْهِ دِيْنُ المُسْلِمِيْنَ.

قوله: " لِمَنْ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ" أي لمن أعتبر الرؤية بوهمه كما ذهب إليه المشبهة لأنهم أثبتوا الرؤية على معنى فاسد وهو أنهم قالوا: إنه يُرى كما يُرى المخلوقُ في جهة ومسافة، وهذا ليس إيمانا برؤية الله، كذلك الذين تأولوا الرؤية بفهمهم كما زعمت المعتزلة من تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[93] بانتظار النعمة.

---

93 سورة القيامة، الآية 22 ـ 23.

قال الطحاوي: وَمَنْ لَمْ يَتَوَق النَّفْيَ وَالتَّشْبِيَه زَلَّ وَلَمْ يُصِبْ التَّنْزِيْهَ، فَإِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلا مَوْصُوْفٌ بِصِفَاتِ الوُحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوْتٌ بِنُعُوْتِ الفَرْدَانِيَّةِ.

أراد بهذا نفي مذهب المعطلة ونفي مذهب المشبهة، والمعنى أن من لم يجتنب ويحترز عن تعطيل صفات الله تعالى وعن تشبيهه بالمخلوقين في صفاته زلّ ولم يُصب التنزيه أي تنزيه الله تعالى وهو تعظيمه وتقديسه عن مشابهة خلقه.

قال الطحاوي: لَيْسَ فِيْ مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ البَرِيَّةِ.

أي أنه لا يشبه الله شيءٌ من العالم ولا يتصف بصفات العالم، وقد مرّ قوله: "وَمَنْ وَصَفَ اللهِ بِمَعْنَىْ مِنْ مَعَاْنِيْ اَلْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ" وأعاد هنا هذا المسألة بمعناها لكن من غير ذكر التكفير، إنما هو مقتصر على التنصيص بنفي صفات الخلق عنه.

قال الطحاوي: وَتَعَالَى عَنْ الحُدُوْدِ وَالغَايَاتِ، وَالأَرْكَانِ، وَالأَعْضَاءِ وَالأَدَوَاتِ.

الحدّ معناه نهاية الشيء، والأجرام كلها لها حدّ، فالعرش ليس هو جرما ممتدا إلى غير انتهاء، وكذلك الكرسي والجنة والنار والسموات والأرضون كل له مساحة، لكن نحن البشر لا نعلم مساحة العرش كم هي ولا الكرسي، ولا السموات السبع، ولا الجنة ولا جهنّم، وليس معنى نفي الحد عن الله أنه ممتدّ إلى غير نهاية، فليحذر هذا التوهم.

وقوله: "وَالغَايَاتِ" جمع غاية، والغاية ما ينتهي إليه الشيء.

وقوله: "وَالأَرْكَانِ" معناه الجوانب، فالله تعالى منزه أن يكون له جوانب، لأن ذا الأركان محدود لا محالة.

وقوله: "وَالأَعْضَاءِ" معناه أنه منزه أن يكون له عضو كما أن للإنسان وغيره من

ذوي الأرواح أعضاء.

وقوله: "وَالأَدَوَاتِ" جمع أداة، والأدوات هي الأجزاء الصغيرة كاللسان والأضراس، وفسر بعضهم الأدوات بالآلات التي يستعين بها الإنسان في تحقيق أفعاله كآلات البنّاء، وآلات النجار، وذلك لما عُلِمَ من كلام أهل الحق أن الله فاعل بلا علاج.

قال الطحاوي: لا تَحْوِيْهِ الجِهَاتُ السِتُّ كَسَائِرِ المُبْتَدَعَاتِ.

أي أنه لا تحوي الله تعالى الجهات الستة مما تحوي جميع المخلوقات، إذ المخلوقات لا تخلوا عن التحيز في إحدى الجهات الست، لأن الحادث لابد أن يكون بمكان.

قال الطحاوي: وَالمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِيْ اليَقْظَةِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاْءَ اللهُ مِنْ العُلاَ، وَأَكْرَمَهُ اللهُ بِمَا شَاءَ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى، ﴿مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[94] فَصَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الآخِرَةِ وَالأَوْلَى.

العروج: هو الصعود، يقال: عرج يعرج عروجاً، والمِعراج بالكسر شبه السلم، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الذِيْ أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المسْجِدِ الحَرَامِ إِلَىَ المسْجِدِ الأَقْصَا الذِيْ بَاْرَكْنَاْ حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاْتِنَاْ﴾[95] هذه الآية أثبتت الإسراء أي سير الرسول من مكة إلى المسجد الأقصى في الليل، ثم أشار الله بقوله: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاْتِنَاْ﴾[96] إلى المعراج أيضا، لأن الآيات لم يقيدها بالآيات التي في الأرض، لكنه لم يصرح به القرآن، إنما المصرح به في القرآن هو الإسراء، لذلك قال بعض أهل العلم: منكر الإسراء

94 سورة النجم، الآية 11.

95 سورة الإسراء، الآية 1.

96 سورة الإسراء، الآية 1.

يكفر، ومنكر المعراج لا يكفر.

ثم عند أهل الحق أن الإسراء والمعراج كلاهما كانا في اليقظة بشخصه ﷺ ثم اختلف أهل العلم في رؤية النبي لربه تلك الليلة فالجمهور أثبتوا، والثابت الصحيح أنه رءاه بفؤاده لا ببصره، والدليل على ذلك أن أبا ذر الغفاري ﷺ نفي أن يكون رءاه بعينه[97]، وابن عباس ثبت عنه أنه قال: "رءاه بفؤاده مرتين"[98] ولم يثبت عن أحد من الصحابة أنه قال: رءاه بعينه.

قال الطحاوي: وَالحَوْضُ الَّذِيْ أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَاْلَىَ بِهِ غِيْاثاً لأُمَّتِهِ حَقٌّ.

يجب الإيمان بالحوض الذي يشرب منه المؤمنون يوم القيامة قبل دخول الجنة، وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾[99] وهو نهر أصله في الجنة يَصُب في مكان يسمى الحوض خارج الجنة يشرب منه المؤمنون قبل دخولهم الجنة، فيدخلون الجنة وهم لا يشكون عطشاً، لأنه لا يظمأ من شرب منه أبدا، وإنما يشربون بعد دخول الجنة تلذذاً.

قال الطحاوي: وَالشَّفَاعَةُ التِيْ ادَّخَرَهَا لَهُم حَقٌّ كَمَا رُوِيَ فِيْ الأَخْبَارِ.

يجب الإيمان بالشفاعة التي ادخرها النبي ﷺ لأمته أنها ثابتة، والشفاعة هي طلب الخير للغير للإنقاذ من مشقة حر الشمس في الموقف أو من زيادة عذاب النار، أو للخلاص من دخول النار بعد استحقاقه.

---

97 الإمام مسلم، الصحيح: كتاب الإيمان.

98 الإمام مسلم، الصحيح: كتاب الإيمان.

99 سورة الكوثر، الآية 1.

قال الطحاوي: وَالمِيْثَاقُ الذِيْ أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ وَذُرِيتِهِ حَقٌ.

نؤمن بأن الله أخذ الميثاق أي العهد من بني آدم حين استخرجهم من ظهر ءادم بعدما نزل إلى الأرض جمعهم الله تعالى وصورهم واستنطقهم فقالوا: "لا رب لنا غيرك" رواه الحاكم والترمذي وصححاه.

قال الطحاوي: وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَىَ فِيْمَا لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ، وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّاْرَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَلاَ يُزَادُ فِيْ ذَلِكَ العَدَدِ وَلا يَنْقُصُ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُمْ فِيْمَا عُلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوْهُ، وَكُلٌ مُيَسَرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ.

الجملة الأولى التي فيها بيان إحاطة علم الله بمن يدخل الجنة تفصيلا وبعدد من يدخل النار تفصيلا، أراد المؤلف بها أن يبين ما قرر من أزلية صفات الله تعالى الذاتية والفعلية، كما قال فيما تقدم: "مَازَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبلَ خَلقِهِ" بيانا لسعة علم الله وأن علمه لا يقدّر بمعلوم الخلائق، وحسما لمادة الشك في القضاء والقدر من الضَّعفَة أي ضعفة الأفهام ودفعا لتلبيس أوهام القدرية أي المعتزلة على العوام، حيث زعموا كيف يعذب الله على ما قضاه وقدّره، فبيّن الطحاوي ما يؤيد ذلك.

ومعنى ذلك أن الله علم عدد من يدخل الجنة أهم يؤمنون ويطيعون عن اختيار وإيثار، وعلم عدد من يدخل النار أنهم يكفرون ويخالفون أوامره عن اختيار منهم عند وجودهم وكونهم بصفة البلوغ والعقل لا عن الجبر واضطرار يستوجبون النار، ويستحيل أن لا يعلم ما يكون من مخلوقاته قبل وجودهم إذ ذاك جهل والجهل في حق القديم محال، فثبت سبق علمه في الأزل بما يكون من مخلوقاته. وأما قوله: "وَكُلٌّ مُيَسَرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ" فهو لفظ حديث مشهور صحيح الإسناد رواه أصحاب الكتب

الستة، والمعنى أنه من قُدِّرَ أنه من أهل الجنة قُدِّرَ له ما يقربه إليها من الأعمال وَوُفِقَ لذلك، ومن قُدِّرَ أنه من أهل النار قُدِّرَ له خلاف ذلك فأتى بأعمال أهل النار وأصرَّ عليها حتى طوي عليه صحيفة عمره.

قال الطحاوي: وَالأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيْمِ، وَالسَّعِيْدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللهِ، وَالشَقِيُ مَنْ شَقِيٌ بِقَضَاءِ اللهِ.

أي أن العمل الذي يجازى به العبد يوم القيامة فيظهر أنه سعيد أو شقي هو ما يختم له به من الأعمال، وقد ورد فيما صحّ من الحديث أن الإنسان قد يعمل بعمل أهل الشقاوة حتى يقال إنه شقي، ثم تدركه الرحمة فيختم له بالخير أي يختم له وهو يعمل عمل أهل الجنة، وقد يكون العبد يعمل بعمل أهل الجنة مدة من عمره طويلة أو قصيرة فيظن الناس على حسب ما يرون من عمله أنه من أهل الجنة، ثم تدركه الشقاوة التي كتبت له فيموت وهو يعمل عمل أهل النار، أي يموت كافرا، فيدخل النار ويكون من أهل النار الخالدين المؤبدين فيها.

قال الطحاوي: وَأَصْلُ القَدَرِ سِرُّ اللهِ تَعَالىَ فِيْ خَلْقِهِ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَبٌ وَلا نَبِيٌ مُرْسَلٌ، وَالتَعَمُقُ وَالنَّظَرُ فِيْ ذَلِكَ ذَرِيْعَةٌ لِلْخُذْلانِ، وَسُلَّمُ الحِرْمَانِ وَدَرَجَةُ الطُغْيَانِ، فَالحَذَرُ كُلَّ الحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً، فَإِنْ اللهَ تَعَالَى طَوَى عِلْمَ القَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالىَ فِيْ كِتَابِهِ: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُوْنَ﴾[100] فَمَنْ سَأَلَ لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الكِتَابِ، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الكِتَابِ كَانَ مِنَ الكَافِرِيْنَ.

---

100 سورة الأنبياء، الآية 23.

قوله: "لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَبٌ وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ" لما ثبت بالنقل من طريق الوحي أنه قال كذلك، فأورد المؤلف ما أورد مبالغة في الإخبار عن كون علم القدر مكتوما عن الخلائق أجمعين، لأن الله قال في كتابه: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِيْ السَمَوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إلا الله﴾[101]، والغيب في هذه الآية أريد به جميع الغيب، والغيب هو ما غاب عن حس الخلق، فما غاب عن حس الخلق لا يعلم جميعه إلا الله، ولا يُطلع الله على ذلك نبيا ولا ملكا إنما يطلع على بعض الغيب من شاء من عباده من الملائكة والأنبياء والأولياء من الإنس والجن، وكذلك قوله تعلى: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً. إلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُوْلٍ فَإِنَهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾[102]، معناه أن الله لا يطلع على جميع غيبه أحدا لكن من ارتضى من رسول لأن الله يحفظه من بين يديه ومن خلفه من الشياطين. فالحاصل أن الله هو المنفرد بالإحاطة بالغيب علما، لا أحد من خلقه يحيط بالغيب علما، ومن اعتقد أن أحدا غير الله يحيط بالغيب علما فقد كذب القرءان.

وقوله: "وَالتَعَمُقُ وَالنَّظَرُ فِيْ ذَلِكَ ذَرِيْعَةٌ لِلْخُذْلانِ، وَسُلَّمُ الحِرْمَانِ وَدَرَجَةُ الطُغْيَانِ" معناه يؤدي إلى الطغيان، كما أن السلّم والدرجة يتوصل بارتقائهما إلى ما فوقهما إن كان خيرا أو شرا، وأما الخذلان فهو ضدّ التوفيق، لأنه من يتتبع ذلك فهو علامة أنه مخذول أي محروم.

قال الطحاوي: فَهَذَا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى.

وفي هذا إشارة إلى جميع ما تقدم مما يجب اعتقاده والعمل به، إلى أن من حوى

101 سورة النمل، الآية 65.

102 سورة الجن، الآية 26 ـ 27.

ذلك وعمل به فقد نور قلبه وانتظم في سلك الأولياء، رزقنا الله تعالى ذلك ووفقنا لاعتقاده والعمل به.

قال الطحاوي: وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِيْنَ فِيْ العِلْمِ.

أي المتمكنين في العلم، وهم الذين ثبتوا فيه وتمكنوا، ويقال: رَسَخَ: أي استحكم وثبت.

قال الطحاوي: لأَنَّ العِلْمَ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِيْ الخَلْقِ مَوْجُوْدٌ، وَعِلْمٌ فِيْ الخَلْقِ مَفْقُوْدٌ، فَإِنْكَارُ العِلْمِ المَوْجُوْدِ كُفْرٌ، وَادِّعَاءِ العِلْمِ المَفْقُوْدِ كُفْرٌ، وَلا يَثْبُتُ الإِيْمَانُ إِلا بِقُبُوْلِ العِلْمِ المَوْجُوْدِ وَتَرْكِ طَلَبِ العِلْمِ المَفْقُوْدِ.

بيان ذلك أن الله جعل في خلقه علوما ضرورية يعرفها العباد من غير استدلال ونظر، كإدراك وجود الإنسان والحيوانات بالمشاهدة، وإدراك أعمالهم الظاهرة، وجعل فيهم إدراكات يتوصل إليها بالنظر بإعمال الفكر في خلقه، وهذا من العلم الموجود في الخلق، فإنكار هذا كفر كإنكار السوفسطائية وجود الأشياء وقولهم: إنها تخيلات، ويلتحق بذلك إدراك حدوث العالم واحتياجه إلى محدث له أوجده وكونه بالتفكير في حال العالم، وهذا إنكاره كفر أيضا.

وأما العلم المفقود للخلق فهو ما اختص الله به، فدعواه كفر، كالذي يدعي علم وجبة القيامة، فمن حاول أن يعرف متى تقوم الساعة كفر، ويدخل في هذا ذلك الرجل الذي عمل رقم تسعة عشر جاريا على جميع ءاي القرءان مدعيا أن ذلك من معجزة القرءان وهو من دعاة البهائية.

قال الطحاوي: وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالقَلَمِ، وَبِجَمِيْعِ مَا فِيْهِ قَدْ رُقِمَ، فَلَوْ اجْتَمَعَ الخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ تَعَالَى فِيْهِ أَنَّهُ كَائِنٌ لِيَجْعَلُوْهُ غَيْرَ كَائِنٍ لَمْ يَقْدِرُوْا عَلَيْهِ، وَلَوْ اجْتَمَعُوْا كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ تَعَالَى فِيْهِ لِيَجْعَلُوْهُ كَائِنًا لَمْ يَقْدِرُوْا عَلَيْهِ، جَفَّ القَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَا أَخْطَأَ العَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيِّبَهُ وَمَا أَصَابَه لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ.

الألفاظ التي ذكرها فيه وردت فيما صحّ عن رسول الله في بعض أحاديثه، بعضها بعين اللفظ المروي وبعضها بما هو بمعنى اللفظ المروي، وذلك مما يشهد العقل بصحته، لأنه قامت البراهين العقلية على أزلية علم الله بما يكون أبدا، فوجب الاعتقاد بمضمون ما ذكر.

قال الطحاوي: وَعَلَى العَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِيْ كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ.

أي أنه يجب على العبد أن يعلم أن ما سبق في علم الله أنه يكون فقد شاء أن يكون، أي خصصه بالوقوع والوجود الحادث، ونؤمن بالقضاء بما يكون من خلقه وتقدير كل شيء على ما تقتضي الحكمة البالغة من كون كل شيء على ما هو به من حسن أو قبح، وطاعة أو معصية.

قال الطحاوي: فَقَدَّرَ ذَلِكَ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَماً، لَيْسَ فِيْهِ نَاْقِضٌ وَلا مُعَقِبٌ، وَلا مُزِيْلٌ وَلا مُغَيِرٌ، وَلا نَاْقِصٌ وَلا زَاْئِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِيْ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ. وَذَلِكَ مِنْ عَقْدِ الإِيْمَانِ، وَأُصُوْلِ المَعْرِفَةِ وَالاعْتِرَافِ بِتَوْحِيْدِ اللهِ تَعَالَىَ وَرُبُوْبِيَتِهِ.

هذا إثبات الوحدانية والربوبية لله عزّ وجلّ وأنه لا يجوز لأهل السموات والأرض غير هذا الاعتقاد، وفي ذلك نفي التدبير الحقيقيّ العام عمّا سوى الله تعالى.

قال الطحاوي: كَمَا قَاْلَ تَعَالَى فِيْ كِتَابِه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيْرًا﴾[103]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُوْرًا﴾[104]":

الله خلق كل شيء بتقديره الأزلي قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُوْرًا﴾[105]، والمراد بالأمر هنا المفعول، أي أن الكائنات الحادثات كلها مقدرة بتقدير الله الأزلي، وفي ذلك احتجاج بأنه لا خالق لشيء من العالم سوى الله، وتعميم لكل شيء يدخل تحت التخليق من أقسام العالم من الأجسام والجواهر والأعراض أن كل ذلك مخلوق لله عزّ وجلّ.

قال الطحاوي: فَوَيْلٌ لِمَنْ صَاْرَ للهِ تَعَالَى فِيْ القَدَرِ خَصِيْمًا، وَأَحْضَرَ لِلْنَظَرِ فِيْهِ قَلْباً سَقِيْمًا، لَقَدْ التَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الغَيْبِ سِرًا كَتِيْمًا، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيْهِ أَفَّاْكًا أَثِيْمًا".

هذا تصريح بذم من أنكر القدر، وفيه تسميته خصيما لله، وذلك لأنه يلتحق بإنكاره القدر بالثنيوية والمجوس، وإنما سماه سقيم القلب لارتيابه فيما ثبت بالأدلة القاطعة، أي لطلبه الوقوف على مضمون السر المكتوم، وفي ذلك أيضا تصريح بأن قائل هذا المقالة أفاك أثيم، والأفاك هو الكذاب، والأثيم هو الفاجر.

---

103 سورة الفرقان، الآية 2.

104 سورة الأحزاب، الآية 38.

105 سورة الأحزاب، الآية 38.

قال الطحاوي: وَالعَرْشُ وَالكُرْسِيُّ حَقٌّ، وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ العَرْشِ وَمَا دُوْنَهُ، مُحِيْطُ بِكُلِ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ، وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الإِحَاطَةِ خَلْقَهُ.

يجب الإيمان بوجود العرش والكرسي لأن الله نص عليهما في القرءان، ولم يتعرض المؤلف لبيان ماهية العرش والكرسي، فإن الله اقتصر على قوله: ﴿وَسِعَ كرْسِيُهُ السَّمواتِ والأَرْضَ﴾[106]، ولم يذكر الله ما حقيقة العرش وما حقيقة الكرسي، فالواجب الإيمان بأنهما جرمان من الأجرام العلوية، ويكفي ذلك في الإيمان بهما، وأما ما ذهب إليه بعض أهل التأويل من أن الكرسي عبارة عن العلم فلا يلتفت إليه.

وأما قوله: "وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ العَرْشِ وَمَا دُوْنَهُ" فإنما ذلك نفي لإثبات الحاجة للتمكن في المكان والتحيز في الجهة وغير ذلك من سمات الحدث. وفيه أيضا ردّ على اليهود ومجسمة هذه الأمة (يعني الوهابية ومن شاكلهم) حيث وصفوه بالجسم والاستقرار على العرش.

وقوله: "مُحِيْطُ بِكُلِ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ" معناه أن الله محيط بكل شيء بالعلم والغلبة والسلطان، واحاطة الله بالعالم بالعلم والقهر والسلطان، ليس كإحاطة الحُقَّةِ[107] باللؤلؤة. بل كل شيء تحت علمه وقدرته، لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[108].

قال الطحاوي: وَنَقُوْلُ: إنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيْمَ خَلِيْلاً، وَكَلَّمَ اللهُ مُوْسَى تَكْلِيْماً، إِيْمَاناً وَتَصْدِيْقاً وَتَسْلِيْماً.

---

106 سورة البقرة، الآية 255.

107 الحُقة: وعاء مستدير توضع فيه الأشياء الثمينة.

108 سورة الأنعام، الآية 18.

في هذا ردّ على النصارى حيث قاسوا تسميتهم عيسى بالولدية على اتخاذ إبراهيم خليلا. فجواب أهل الحق عن ذلك، أن اتخاذ الولد يوجب المجانسة إذ الولد قط لا يكون إلا من جنس الوالد، والله يتعالى عن ذلك، وأما اتخاذ الخليل فلا يوجب المجانسة بل يوجب القرب والكرامة، حتى إن الخلة تكون بين المختلفين في الجنس.

وأما قوله: "وَكَلَّمَ اللهُ مُوْسَى تَكْلِيْماً" فهو إثبات لما جاء به القرآن وهو قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوْسَى تَكْلِيْماً﴾[109] فبما أن الكلام صفة له حقيقة أكده بالمصدر.

قال الطحاوي: وَنُؤْمِنُ بِالمَلاَئِكَةِ وَالنَّبِيينَ وَالكُتُبِ المُنَزَلَةِ عَلَى المُرْسَلِيْنَ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوْا عَلَى الحَقِّ المُبِيْنِ.

هذا من قسم أصول العقيدة التي هي سمعية، لأن الاعتماد في إثباتها على النقل والسمع ليس على العقل، وإن كان العقل يشهد بصحة ذلك وكل ما ورد فيه نص، فإن العقل لا يعارضه بل يشهد له بالصحة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَاليَوْمَ الآخِرِ وَالمَلَئِكَةِ وَالكُتُبِ وَالنَبِيِّيْنَ﴾[110]، وقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَسُوْلُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَّبِهِ وَالمؤْمِنُوْنَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللهِ وَالمَلَئِكَةِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾[111].

فالملائكة يجب الإيمان بأنهم لا يعصون الله، وما يروى عن هاروت وماروت أنهما شربا الخمرة ثم قتلا الطفل الذي كانت تحمله المرأة ووقعا عليها فغير صحيح. وأما الإيمان بالنبيين فهو أن يؤمن بأن الله ارتضاهم للنبوة واصطفاهم وأكرمهم بالسفارة بينه وبين عباده بما يوحي إليهم، ويدركون ذلك ويطيقونه بما ركب الله فيهم من قوة

109 سورة النساء، 164.
110 سورة البقرة، الآية 177.
111 سورة البقرة، الآية 285.

على ذلك، وليست النبوة بمكتسبة بل كانت عطية خصيصة من الله تعالى وموهبة جعلها الله فيمن شاء من عباده، قال تعالى: ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[112]، وهم معصومون عن التحريف والتبديل والفسق، وعن جميع ما يوجب العزل.

وأما الإيمان بالكتب السماوية فهو أن يؤمن بأنها من قبل الله وليس للملك ولا للنبي تصرف في النظم والمعنى، لكنهما يبلغان عن الله تعالى كما بلغ إليهما وحيا وتنزيلاً.

وقوله: "وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوْا عَلَى الحَقِّ المبِيْنِ" معناه نعلم ونعتقد في قلوبنا ونعترف بألسنتنا ونشهد بأنهم كانوا على الحق المبين.

قال الطحاوي: وَنُسَمَّيْ أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِيْنَ مُؤْمِنِيْنَ.

أي نطلق عليهم اسم المسلمين والمؤمنين، قال ذلك لأنا نعرف منهم الاعتراف بما جاء به النبي من الدين والشرع، ونسمع أنهم يعتقدون التوحيد والدين الحقَّ، ونشاهدهم متمسكين بكتاب الله تعالى وبشرائعه أي الأحكام الشرعية، ونراعي ظواهرهم ونكل ضمائرهم إلى الله تعالى.

قال الطحاوي: "مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِيْنَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخْبَرَ مُصَدِقِيْنَ غَيْرَ مُنْكِرِيْنَ".

هذا أوضح به ما قبله ليعلم أن مجرد التوجه إلى قبلتنا لا يدل على حقيقة الإيمان بالنبي، لأن كثيرا من الناس يتوجهون إلى قبلتنا وليسوا منا ولا على ديننا، كالغلاة الذين يدّعون نبوة عليّ، وكمن يدعي منهم أنه إله، وكالقدرية يزعمون وجود كثير من الأشياء

112 سورة الأنعام، الآية 124.

من غير مشيئة الله.

قال الطحاوي: وَلا نَخُوْضُ فِي اللهِ، وَلا نُمَارِي فِي دِيْنِ اللهِ.

معناه لا نتكلم في ذات الله أي لا نفكر في ذات الله لأن التفكر في ذات الله يؤدي إلى الحيرة والضلال ويؤدي إلى تشبيهه بخلقه، لأنه لما ينقل ذهنه من شيء إلى شيء حتى يصل إلى شيء يظن أن الله مثل ذلك الشيء وقف عنده فشبه الله بخلقه. وقوله: "ولا نماري في دين الله" معناه لا نخاصم أهل الحق بإلقاء شبهات أهل الأهواء عليهم لتلبيس الحق بالباطل، وليس من المراء في الدين الاشتغال بعلم الكلام الذي وضعه أئمة أهل السنة.

قال الطحاوي: وَلا نُجَادِلُ فِيْ القُرْآنِ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلاَمُ رَبِ العَالَمِيْنَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوْحُ الأَمِيْنُ، فَعَلَّمَهُ سَيِدَ المُرْسَلِيْنَ مُحَمَدًا ﷺ، وَهُوَ كَلاَمُ اللهِ تَعَالَى، لا يُسَاوِيْهِ شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ المَخْلُوْقِيْنَ، وَلا نَقُوْلُ بِخَلْقِهِ، وَلا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِيْنَ.

الروح الأمين هو جبريل، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوْحُ الأَمِيْنُ . عَلَى قَلْبِكَ﴾[113]. ومعنى قوله "وَلا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ المسْلِمِيْنَ" أي إجماع المجتهدين لأنه ثبت عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه: «لا يجمع الله أمة محمد على ضلالة»[114] رواه الحافظ ابن حجر في أماليه وصححه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «لن تجتمع أمتي على ضلالة فعليكم

113 سورة الشعراء، الآية 193 . 194.
114 الحاكم، المستدرك، ج1، ص177.

بالجماعة فإن يد الله على الجماعة».[115]

قال الطحاوي: وَلا نُكَفِرُ أَحَداً مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لمْ يَسْتَحِلْهُ، وَلا نَقُوْلُ لا يَضُرُّ مَعَ الإِيْمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ.

هنا مسألتان إحداهما الرد على الخوارج حيث قالوا: بتكفير العاصي لمجرد ارتكاب المعصية. والثانية الردّ على المرجئة في قولهم: لا يضر مع الإيمان ذنب، بمعنى لا يعاقب عصاة المؤمنين في الآخرة، وذلك ردّ للنصوص وهو كفر.

قال الطحاوي: وَنَرْجُوْ لِلْمُحْسِنِيْنَ مِنْ المُؤْمِنِيْنَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَيَدْخُلُهُمْ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، وَلا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ وَلا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالجَنَّةِ.

المحسنون هم المتقون الذين تحققوا بالإحسان الذي ورد في حديث جبريل من قوله ﷺ لما سأله جبريل عن الإحسان: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»[116] ومن وصل إلى هذه الحالة فهو من الآمنين من عذاب الله في الآخرة، ومع ذلك لا نقول بالتعيين لأحدهم "فلان من أهل الجنة" لأننا لم نطلع على باطن حاله.

قال الطحاوي: وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيْئِهِمْ وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ وَلا نُقْنِطُهُمْ.

إن عصاة المسلمين نستغفر لهم ونخشى عليهم أن يعذبهم الله بذنوبهم إن ماتوا قبل التوبة منها، ونقول إن الله يغفر لهم إن شاء لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ

---

115 الحافظ، الهيثمي، مجمع الزوائد، ج5، ص218.

116 البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان.

وَيَغْفِرُ مَا دُوْنَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[117].

قال الطحاوي: وَالأَمْنُ وَاليَأْسُ يَنْقُلاَنِ عَنْ مِلَةِ الإِسْلاَمِ.

يعني أن الأمن من مكر الله واليأس من رحمة الله يخرجان من الإيمان ويجعلان صاحبها كافرا، وذلك لأن الله وعد وأوعد وهو قادر على تنفيذهما، ففي الأمن عما أوعد ظن العجز عن العقوبة وتنفيذ وعيده، وفي الإياس ظن العجز عن الرحمة، وكل واحد منهما ناقل عن الملة.

قال الطحاوي: وَسَبِيْلُ الحَقِ بَيْنِهِمَا لأَهْلِ القِبْلَةِ.

ذلك هو الوقوف بالجمع بين الحالتين الخوف والرجاء، قال تعالى: ﴿يَدْعُوْنَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾[118] وقال تعالى: ﴿وَيَرْجُوْنَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُوْنَ عَذَابَهُ﴾[119]، وقال أيضا: ﴿وَيَدْعُوْنَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾[120].

قال الطحاوي: وَلا يُخْرِجُ العَبْدَ مِنَ الإِيْمَانِ إِلاَ بِجُحُوْدِ مَا أَدْخَلَهُ فِيْهِ.

أي أن المؤمن لا يخرج من الإيمان إلا بجحود ما أدخله في الإيمان، وذلك لأن الإيمان هو التصديق والقبول، فمن ترك لسبب من الأسباب إما باعتقاد ما ينافي ذلك كأن يشك في صفة من صفات الله التي يجب معرفتها والإيمان بها على كل مكلف

---

117 سورة النساء، الآية 48.

118 سورة السجدة، الآية 16.

119 سورة الإسراء، الآية 57.

120 سورة الأنبياء، الآية 90.

كقدرته تعالى على كل شيء وعلمه بكل شيء وشمول مشيئته لكل شيء، أو بفعل شيء يدل على الاستخفاف بدين الله كرمي المصحف في القاذورات أو السجود للوثن، أو بقول يدل على الاستخفاف بالله كسبه أو سب نبي من أنبيائه أو تكذيب نصٍّ مما نصَّ الله عليه في القرآن أو نصَّ عليه رسوله مع العلم بذلك فقد كفر، وجحدُ شيءٍ من كتاب الله تعالى هو كجحدِ جميعِهِ.

قال الطحاوي: وَالإِيْمَانُ هُوَ الإِقْرَارُ بِاللِسَانِ وَالتَّصْدِيْقُ بِالجَنَانِ.

الإيمان لغةً: التصديقُ، وشرعاً: تصديقٌ مخصوصٌ وهو التصديقُ بالنطقِ بالشهادتينِ بلسانهِ فهو مسلمٌ مؤمنٌ إن ماتَ على ذلك لابد أن يدخل الجنةَ، فالنطق بالشهادتين لا يقبل عند الله بدون النطق، فمن صدق بقلبه ولم ينطق بلسانه فهو كافر مخلد في النار بالإجماع.

قال الطحاوي: وَجَمِيْعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ مِنَ الشَّرْعِ وَالبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ.

ذلك لأن جميع ما أنزل الله في القرآن وجميع ما صح عن رسول الله من الشرع والبيان كله حق لقوله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويؤمنوا بي وبما جئت به»[121].

قال الطحاوي: وَالإِيْمَانُ وَاحِدٌ، وَأَهْلُهُ فِيْ أَصْلِهِ سَوَاءٌ، وَالتَفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالخَشْيَةِ وَالتُّقَى وَمُخَالَفَةِ الهَوَى وَمَلاَزَمَةِ الأَوْلَى.

أي أن الإيمان لما كان هو التصديق بما جاء به رسول الله ﷺ كان أصله غير

---

121 البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان.

متفاوت، وإنما التفاوت في صفته، والتفاضل في الإيمان بين أفراد المؤمنين على حسب تفاضلهم في التقوى ومخالفة الهوى والإكثار من النوافل. فمن قال: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص فمراده أن أصل الإيمان الذي لا يتحقق معناه بدونه لا يزيد ولا ينقص، وقد اختلفت عبارات السلف في ذلك فمنهم من قال هذا وهو أبو حنيفة ومن معه، ومنهم من قال: الإيمان يزيد وينقص، وهذا خلاف لفظي.

قال الطحاوي: وَالمُؤْمِنُوْنَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ، وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ.

يعني بـ"المؤمنون" الكاملين، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيِاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُوْنَ. الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَكَانُوْا يَتَّقُوْنَ﴾[122] وقال رسول الله ﷺ: «من عادى لي وليا فقد ءاذنته بحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به..»[123].

قال الطحاوي: وَالإِيْمَانُ هُوَ الإِيْمَانُ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَالقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَحُلُوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَنَحْنُ مُؤْمِنُوْنَ بِذَلِكَ كُلِّهِ، لا نُفَرقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَنُصدِّقُهُمْ كُلُّهُمْ عَلَى مَا جَاءُوا بِهِ.

أهم أمور الإيمان القلبية وأعظمها التصديق بوجود الله وملائكته، وأنه أنزل كتبا على النبيين كلها حق، وبرسله، والمراد بالرسل ما يشمل الأنبياء غير الرسل، وباليوم

---

122 سورة يونس، الآية 62 ـ 63.

123 البخاري، الصحيح، كتاب الرقائق.

الآخر، أي أن ما يحصل في الوجود من أعمال العباد خيرها وشرها، ومن الأشياء الملائمة للطبع كالصحة وغير الملائمة كالمرض فبتقدير الله وُجد.

ثم المقدر منه حسن ومنه قبيح ومنه حلو ومنه مرّ، ونحن مأمورون بالرضا بقدر الله الذي هو صفة له، وأما المقدور فمنه ما نرضى به وهو ما كان حسنا شرعا ومنه ما نكرهه وهو ما كان مكروها شرعا من حرام ونحوه.

قال الطحاوي: وَأَهْلُ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَدٍ ﷺ فِي النَّارِ لا يُخَلَّدُوْنَ إِذَا مَاتُوْا وَهُمْ مُوَحِدُوْنَ، وَإِنْ لَمْ يَكُوْنُوْا تَائِبِيْنَ، بَعْدَ أَنْ لَقَوْا اللهَ عَارِفِيْنَ مُؤْمِنِيْنَ، وَهُمْ فِي مَشِيْئَتِهِ وَحُكْمِهِ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ كَمَا ذَكَرَ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُوْنَ ذَلِكَ لِمَّنْ يَشَاءُ﴾[124]، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِعَدْلِهِ ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِيْنَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى تَوَلَّى أَهْلَ مَعْرِفَتِهِ وَلَمْ يَجْعَلْ فِي الدَارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ الَّذِيْنَ خَابُوْا مِنْ هِدَايَتِهِ وَلَمْ يَنَالُوْا مِنْ وِلاَيَتِهِ. اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الإِسْلاَمِ وَأَهْلِهِ ثَبِّتْنَا عَلَى الإِسْلاَمِ حَتَى نَلْقَاكَ بِهِ.

الكبائر هي قريب من أربعين معصية عدّ منها بعض أهل العلم خمسة وثلاثين. وقوله: "بَعْدَ أَنْ لَقَوْا اللهَ" معناه إذا ماتوا، لأن لقاء الله يعبر به عن الموت وعن الوقوف بين يديه للحساب في الآخرة، والمعنى الأول هو المراد بقوله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»[125].

وقوله: "ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِيْنَ" معناه أنه من عقائد أهل السنة أن عصاة المؤمنين الذين ماتوا بلا توبة وكانوا من أهل الكبائر، إذا عذبهم الله أي عذب

---

124 سورة النساء، الآية 48، 116.

125 الإمام، مسلم، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء.

من شاء منهم لا بدّ أن يخرجهم من النار برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته.

وقوله: "وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالىَ تَوَلَّى أَهْلَ مَعْرِفَتِهِ" فمعناه أن الله حافظ أهل معرفته المؤمنون به.

وقوله: "وَلَمْ يَجْعَلْ فِي الدَارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ" معناه أن الله لم يجعل المؤمنين الذين هم من أهل الكبائر في الدنيا والآخرة كأهل نكرته، أي الذين ينكرون دينه بالكفر به أو بأنبيائه.

وقوله: "اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الإِسْلاَمِ وَأَهْلِهِ ثَبِّتْنَا عَلَى الإِسْلاَمِ حَتَى نَلْقَاكَ بِهِ" معناه ثبتنا على الإيمان حتى نموت وهذا هو المراد بلقاء الله، وذلك لأن العبرة بما يختم به للعبد، فمن ختم له بالإيمان والتقوى لو كان قبل ذلك كافرا فهو من الناجين، ومن ختم له بالكفر فهو من الخاسرين المؤبدين في النار وإن كان سبق له أنه كان بصفة الإسلام.

قال الطحاوي: وَنَرَى الصَّلاَةَ خَلْفَ كُلِّ بِرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ.

أي أن المسلم الفاجر مادام لم يخرج من الإسلام بكفر يقطع الإسلام فإن الصلاة خلفه تصح كما تصح خلف التقي وهو البر، وأما الفاجر إذا أريد به المسلم العاصي فإنه يكون بمعنى المسلم الفاسق، لكن العلماء اختلفوا بعد اتفاق الجمهور على صحة الصلاة خلف الفاسق هل فيها ثواب أم لا؟

قال الطحاوي: وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ.

أي أنه مما يعتقد أهل الحق الصلاة على المسلم الفاسق إذا مت، لأن الرسول أمر أصحابه بالصلاة على بعض من أقيم عليهم حدّ الزنى بالرجم، ومعلوم أن الزاني المحصن وغير المحصن من الفاسقين، وعند الحنفية قطاع الطريق والبغاة إذا قتلوا في حال المحاربة

لا يصلى عليهم.

قال الطحاوي: وَلا نُنَزِلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلا نَاراً.

أي أنه لا نقول بالتعيين: فلان من أهل الجنة ولو كان صالحا، ولا نقول عن مسلم عاص مهما بلغ في المعصية: فلان من أهل النار، لكن نقول إجمالا الأتقياء يدخلون الجنة بلا عذاب ونعلق الأمر بالخاتمة، أما من أخبر عنه الرسول بأنه من أهل الجنة فننزله الجنة أي نحكم له بأنه من أهل الجنة كالعشرة المبشرين، وعبد الله بن سلام الذي كان يهوديا ثم أسلم، وكان أعلم علماء اليهود، وكذلك أهل بدر، وأهل الحديبية.

قال الطحاوي: وَلا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلا بِشِرْكٍ وَلا بِنِفَاقٍ مَا لمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

أي أنه لا يجوز أن نقول عن المسلم: فلان كافر أو مشرك أو منافق أي إذا أريد به النفاق في الإيمان، لأن الطعن بذلك من غير ظهور ذلك يكون اتباع الظن المحظور، قال الله تعالى: ﴿يَاءَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا اجْتَنِبُوْا كَثِيْرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[126].

قال الطحاوي: وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالىَ.

ذلك لأن الله هو المطلع عليها دون العباد فوجب تفويض ذلك إليه، فإن الله تبارك وتعالى لم يطلع الرسول على ما يضمره كل أحد ممن يأتي إليه.

قال الطحاوي: وَلا نَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَدٍ ﷺ إلا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ

---

126 سورة الحجرات، الآية 12.

السَّيْفُ.

أي أنه لا يجوز شهر السلاح لقتال مسلم إلا أن يكون لسبب شرعي كأن يرتد، فإنه يقتل إذا لم يرجع بعد العرض عليه، كما فعل أبو بكر فإنه أرسل إلى المرتدين جيشا أمّر عليه خالد بن الوليد فقاتلوهم.

قال الطحاوي: وَلا نَرَى الخُرُوْجَ عَلَى أَئِمَتِنَا وَوُلاَةَ أُمُوْرِنَا وَإِنْ جَارُوْا، وَلا نَدْعُوْ عَلَيْهِمْ، وَلا نَنْزَعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرِيْضَةً مَا لَمْ يَأْمُرُوْا بِمَعْصِيَةٍ.

يحرم الخروج على السلطان الذي انعقدت له البيعة الشرعية، لقوله ﷺ: «من كره من أميره شيئا فليصبر عليه، فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبرا فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية»[127]، فدلّ الحديث مع النص القرءاني: ﴿فَقَاتِلُوْا الَّتِي تَبْغِي﴾[128]، أن ذلك القتال كان طاعة لله فرضا على المؤمنين.

قال الطحاوي: وَنَدْعُوْ لَهُمْ بِالصَّلاَحِ وَالمُعَافَاةِ.

أي أن يصلحهم الله ويعافيهم من مخالفة أوامره.

قال الطحاوي: وَنَتَبِعُ السُّنَّةَ وَالجَمَاعَةَ.

السنة والجماعة هم الذين يعتقدون عقيدة الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وهؤلاء هم أهل السنة والجماعة، وإنما سموا أهل السنة لأنهم على سنة رسول الله، لأن

---

127 الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة.

128 سورة الحجرات، الآية 9.

الرسول أمر باتباع ما كان عليه أصحابه، وأما تسميتهم بالجماعة فلأنهم لم يخرجوا عن جمهور الأمة في الاعتقاد الحق، إنما الشراذم المفترقة عنهم إلى اثنتين وسبعين فرقة هي خالفت اعتقاد الصحابة.

قال الطحاوي: وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوْذَ وَالخِلاَفَ وَالفُرْقَةَ.

يعنى بالشذوذ الخروج عن الإجماع في المسائل الاجتهادية التي اجتهد فيها أهل الاجتهاد، وبالخلاف مخالفة من خالف ذلك بفراقهم.

والمراد بأهل الاجتهاد العلماء الذين لهم أهلية في استخراج الأحكام من الكتاب والسنة كما بين ذلك علماء الأصول. والاختلاف على وجهين: ما كان منصوصا لم يحلّ فيه الاختلاف عليه، وما كان يحتمل التأويل أو يدرك قياسا فذهب المتأول أو القائس إلى معنى يحتمل وخالفه غيره لم أقل إنه يضيق عليه ضيق المخالف للنص، وإذا قاس من له القياس فاختلفوا وسع كلا أن يقول بمبلغ اجتهاده، ولم يسعه اتباع غيره فيما أداه إليه اجتهاده.

قال الطحاوي: وَنُحِبُ أَهْلَ العَدْلِ وَالأَمَانَةِ وَنُبْغِضُ أَهْلَ الجَوْرِ وَالخَيَانَةِ.

أراد المؤلف بأهل العدل والأمانة أهل السنة المتمسكين بالعدل من ولاة الأمور، وأراد بأهل الجور والخيانة أهل الخلاف والعصيان.

قال الطحاوي: وَنَقُوْلُ اللهُ أَعْلَمُ فِيْمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ.

أراد بذلك أن الإنسان قد يتشكك عندما يشتبه عليه الأمر، فعندئذ يلجأ العبد إلى التفويض إلى الله ويعتقد الحقيقة في كل ما ثبت عن الله وعن رسوله، ويعرف يقينا

أن عقول الخلق قاصرة عن الحكم البشرية فكيف تدرك جميع الحكم الربوبية.

قال الطحاوي: وَنَرَى المَسْحَ عَلَى الخُفَيْنِ فِي السَّفَرِ وَالحَضَرِ كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ.

لا مخالف في هذه المسألة بين الصحابة وجمهور من جاء بعدهم، ولا يضلل من قال بالاكتفاء بمسح الرجلين بدل غسلهما لقول بعض المجتهدين بذلك استدلالا بظاهر قراءة الجر عطفا للأرجل على الرؤوس. وقد جاء المسح على الخف عن رسول الله ﷺ برواية عدة من الصحابة منهم عليّ والمغيرة بن شعبة. فحديث المسح على الخفين متواترة رواه من لا يحصى من المحدثين في مؤلفاتهم.

قال الطحاوي: وَالحَجُّ وَالجِهَادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الأَمْرِ مِنْ المُسْلِمِيْنَ بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ لا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلا يَنْقُضُهُمَا.

يعني أنه يجب الجهاد مع الإمام البر والفاجر، فإذا استنفر الإمام المسلمين للجهاد وجب عليهم طاعته إن كان برًّ وإن كان فاجراً، والمراد جهاد الكفار، أما لو أمر بقتال طائفة من المسلمين بغير حق فلا يطاع، وكذلك يطاع للحج أي يقتدى به ولا يتمرد عليه لأنه أدرى بمصلحة العباد كما هو أدرى بمصلحة الجهاد أي قتال الكفار.

قال الطحاوي: وَنُؤْمِنُ بِالكِرَامِ الكَاتِبِيْنَ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِيْنَ، وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ المَوْتِ المُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ العَالَمِيْنَ، وَبِعَذَابِ القَبْرِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلاً، وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيْرٍ فِي قَبْرِهِ عَن رَبِّهِ وَدِيْنِهِ وَنَبِيِهِ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الأَخْبَارُ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَنِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَالقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيْرَانِ.

الكرام الكاتبون هم الذين وكلهم الله بكتابه أعمال العباد. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لحَافِظِيْنَ. كِرَاماً كَاتِبِيْنَ. يَعْلَمُوْنَ مَا تَفْعَلُوْنَ﴾[129]، وهذا نص صريح في إثبات الحفظة وكتبة أعمال بني ءادم، وهو في حق الحفظة محنة امتحنهم الله تعالى بها. كما امتحن بعضهم العمل في الحساب، وبعضا منهم جعلهم رسلا لتبليغ الوحي إلى العباد، فهذه محن تعبدهم بها، إذ الله عالم لم يزل، وقد كتب الله في اللوح المحفوظ كل شيء وجميع ما تفعل العباد قبل خلقهم.

أما قوله: "وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ المَوْتِ المُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ العَالَمِيْنَ" فمعناه أن ملك الموت وكّله الله بقبض أرواح العالمين، أي الإنس والجن والملائكة، ولا يريد بهذا أنه لا يقبض أرواح البهائم ونحوها كالطيور. قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَاكُم مَلَكُ المَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾[130]، هنا جاء بصيغة الإفراد وذلك لأن ملك الموت هو يقبض ثم يقبض من يده ملائكة هم أعوان له، وأما الأعوان فهم المرادون بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِيْنَ كَفَرُوْا المَلائِكَةُ﴾[131].

وأما قوله:" وَبِعَذَابِ القَبْرِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلاً" فمعناه أنه يجب أن نؤمن بعذاب القبر ونعيمه، وذلك لقوله تعالى: ﴿النَّار يُعْرَضُوْنَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِيًّا﴾[132].

وقوله: "لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلاً" يعني به أن السؤال للبالغين المكلفين، ويستثنى منهم الشهداء، وهذا سؤال لأمة محمد فقط، لأمة الإجابة وأمة الدعوة.

وقوله: "وَنُؤْمِنُ بِسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيْرٍ فِي قَبْرِهِ عَن رَبِّهِ وَدِيْنِهِ وَنَبِيِهِ" معناه أنه يجب الإيمان بسؤالهما للميت تصديقا، ولا يجب معرفة كيفية السؤال، لكنه يجب اعتقاد أن

---

129 سورة الانفطار، الآيات 10. 12.

130 سورة السجدة، الآية 11.

131 سورة الأنفال، الآية 50.

132 سورة غافر، الآية 46.

الميت يعود إليه عقله وإحساسه بعود الروح إلى الجسم، وكذلك لا يجب معرفة كيفية التعذيب والتنعيم في القبر للميت.

قال الطحاوي: وَنُؤْمِنُ بِالبَعْثِ وَجَزَاءِ الأَعْمَالِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالعَرْضِ وَالحِسَابِ وَقِرَاءَةِ الكِتَابِ وَالثَّوَابِ وَالعِقَابِ وَالصِرَاطِ وَالمِيْزَانِ.

أي يجب الإيمان بما ذكر: البعث، وجزاء الأعمال، والعرض، والحساب، وقراءة الكتب، والثواب، والعقاب، والصراط، والميزان، لأن كلا ورد به النص الشرعي، فهذه المذكورات من العقائد السمعية التي لا يستقل العقل بمعرفتها.

وقوله: "يَوْمَ القِيَامَةِ" لأن الدنيا لا تصلح أن تكون دار الجزاء العام لأنها جعلت دار العمل والآخرة جعلت دار الجزاء.

قال الطحاوي: وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوْقَتَانِ لا تَفْنَيَانِ أَبَداً وَلا تَبِيْدَانِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الخَلْقِ وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلاً، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَىَ الجَنَّةِ فَضْلاً مِنْهُ وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَىَ النَّارِ عَدْلاً مِنْهُ، وَكُلٌ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ وَصَائِرٌ إِلَىَ مَا خُلِقَ لَهُ.

يجب الإيمان بالجنة ودوامها ونعيمها، والنار ودوامها ودوام عقابها، فالجنة أعدت للمتقين لإيمانهم على التأبيد، والنار أعدت للكافرين جزاء لكفرهم على التأبيد، قال تعالى: ﴿جَزَاءً وِفَّاقاً﴾[133]، لأن الدين يعتقد للأبد، وقد صرح الله في كتابه بذكر الخلود في جزاء الكافرين وجزاء المؤمنين فوجب القول ببقائهما على الأبد، ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين إلا جهم بن صفوان وبعض المعتزلة في بقاء الجنة والنار،

133 سورة النبأ، الآية 26.

وابن تيمية في بقاء النار، وكان ابن تيمية في كتابه منهاج السنة النبوية أنه لا خلاف بين المسلمين في ذلك إلا أن جهما خالف فكفره المسلمون، ثم قال هو بخلاف ذلك في النار. ثم إن الله خلق لهما أي الجنة والنار أهلا، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه ومن شاء منهم إلى النار عدلا منه.

قال الطحاوي: وَالخَيْرُ وَالشَّرَّ مُقَدَّرَانِ عَلَى العِبَادِ.

هذا تأكيد في إثبات القضاء والقدر، والخير والشر مقدران على العباد لأن الله تعالى خالقهما بالاختيار، فيكونان مقدرين لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيْراً﴾[134].

قال الطحاوي: وَالاِسْتِطَاعَةُ التِي يَجِبُ بِهَا الفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التَوْفَيْقِ الَّذِيْ لا يَجُوْزُ أَنْ يُوْصَفَ المَخْلُوْقُ بِهِ فَهِيَ مَعَ الفِعْلِ، وَأَمَّا الاِسْتِطَاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِحَةِ وَالوُسْعِ وَالتَّمَكُنِ وَسَلامَةِ الآلاَتِ فَهِيَ قَبْلَ الفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَقُ الخِطَابُ وَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لا يُكَلِفُ اللهُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا﴾[135].

الاستطاعة عند أهل الحق نوعان: أحدهما مقارنة للفعل والأخرى تسبقها أي تكون قبل الفعل، وإنما قسمت الاستطاعة قسمين لأن الأمر بالفعل لابد له من القدرة على الفعل، والاستطاعة والقدرة في وصف العبد شيء واحد.

ثم القدرة باطنة وظاهرة، فالاستطاعة الباطنة هي التي يوجد بها الفعل يحدثها الله مقرونة بالفعل، ففي الطاعات تسمى توفيقا وفي المعاصي تسمى خذلانا، فهذه الاستطاعة تكون مع الفعل، يكون العبد مفتقرا إلى توفيق الله تعالى ومشيئته وتأييده في

---

134 سورة الفرقان، الآية 2.

135 سورة البقرة، الآية 286.

كل لحة ولحظة، وهي حقيقة العبودية، قال الله تعالى: ﴿يَاءَيُهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيْدُ﴾[136]، وقال: ﴿إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العَالَمِيْنَ﴾[137]، وأما الاستطاعة الثانية فهي القدرة الظاهرة وهي من جهة الوسع والتمكين وسلامة الأسباب والآلات، وهي متقدمة على الفعل، فالقدرة التي يوجد بها الفعل هي باطنة.

قال الطحاوي: وَأَفْعَالُ العِبَادِ خَلْقُ اللهِ وَكَسْبٌ مِنَ العِبَادِ.

إن أفعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى، وهي بالنسبة للعباد كسب، وقالت المعتزلة: هي مخلوقة لفاعلها ومنعوا قدرة الله عنها حتى جعلوا كل فاعل مختار خالقا لأفعاله. فيعلم مما ذكر إبطال قول الجبرية الذين زعموا أن لا فعل للعباد على الحقيقة، وإنما يضاف إليهم مجازا كما يقال: جرى الماء واسودَّ الشعر وطال الغلام.

والكسب أمر بين الاضطرار المحض وبين الاختيار المحض، فالعبد له اختيار ليس هو مجبورا بالمعنى الذي تقوله الجبرية، وليس هو مختارا بالمعنى الذي تقوله المعتزلة، ودلّ على ما ذهب إليه أهل السنة قوله تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُوْنَ﴾[138] وقوله: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[139].

قال الطحاوي: وَلَمْ يُكَلِفْهُمُ اللهُ تَعَالَى إِلا مَا يُطِيْقُوْنَ، وَلا يُطَيَّقُوْنَ إِلا مَا كَلَّفَهُمْ، وَهُوَ تَفْسِيْرُ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلا بِاللهِ نَقُوْلُ: لاَ حِيْلَةَ لأَحَدٍ، وَلا حَرَكَةَ لأَحِد، وَلاَ تَحَوُلَ لأَحَدٍ، عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلا بِمَعُوْنَةِ اللهِ، وَلا قُوَّةَ لأَحَدِ عَلَى إِقَامَةِ طَاعَةِ اللهِ

136 سورة فاطر، الآية 15.

137 سورة العنكبوت، الآية 6.

138 سورة الصافات، الآية 96.

139 سورة الزمر، الآية 62.

وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلا بِتَوْفِيْقِ اللهِ.

حقيقة العبودية أن يكون العبد مفتقرا إلى الله في العصمة عن المعاصي والتوفيق للطاعات، فالعبد محتاج إلى الله في الأمرين في التحفظ عن المعاصي والقدرة والتمكن على الطاعات، فلذلك سمى رسول الله في الخبر الصحيح هذه الكلمة كنزا من كنوز الجنة فإنه قال لأبي موسى الأشعري: «ألا أدلك على كلمة هي كنز من كنوز الجنة»، فقال بلى يا رسول الله، فقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»[140].

قال الطحاوي: وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِيْ بِمَشِيْئَةِ اللهِ تَعَالَى وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ.

المعنى أن أفعال العباد وكلّ ما يدخل في الوجود من أعيان الأشياء وأعراضها كحركة العبد وسكونه وإدراكه وخواطره ونياته، كلُّ ذلك يحصل بمشيئة الله الأزلية وعلم الله الأزلي وقدرة الله الأزلي وقضاء الله الأزلي. فمشيئة الله وعلمه وقضاؤه وقدره سابق أي لا ابتداء لوجوده كما أن ذات الله المقدس لا ابتداء لوجوده.

قال الطحاوي: غَلَبَتْ مَشِيْئَتُهُ المَشِيْئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الحِيَلَ كُلَّهَا.

مشيئات العباد غلبتها مشيئة الله، لأن مشيئة الله أزلية لا ابتداء لها أما مشيئة العباد فحادثة محتاجة إلى محدث، وغلب قضاؤه الحيل كلها أي أن حيل العباد لا ترد ما قضى الله لأن قضاءه سابق والعباد وحيلهم كل ذلك حادث.

---

140 البخاري، الصحيح، كتاب الدعوات.

قال الطحاوي: يفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غيرُ ظَالِمٍ أَبَداً، ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُوْنَ﴾[141].

يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَعّالٌ لِمَا يُرِيْدُ﴾[142]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾[143].

قال الطحاوي: وَفِي دُعَاءِ الأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ مَنْفَعَةٌ لِلأَمْوَاتِ، وَاللهُ تَعَالَى يَسْتَجِيْبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِيْ الحَاجَاتِ، وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ وَلا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ، وَلا غِنَى عَنِ اللهِ تَعَالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَنْ اسْتَغْنَى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الحَيْنِ.

اتفق أهل السنة على أن الأموات ينتفعون بدعاء المسلمين واستغفارهم لهم، وكذلك قراءة القرءان على القبر تنفع الميت، وقد استدل على قراءة القرءان على القبر بحديث العسيب الرطب الذي شقه النبي ﷺ اثنين ثم غرس على قبر نصفا وعلى قبر نصفا وقال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»[144]، ويستفاد من هذا غرس الأشجار وقراءة القرءان على القبور، وإذا خفف عنهم بالأشجار فكيف بقراءة الرجل المؤمن القرءان. فإن قراءة القرءان من إنسان أعظم وأنفع من التسبيح من عود، وقد نفع القرءان بعض من حصل له ضرر في الحياة، فالميت كذلك.

---

141 سورة الأنبياء، الآية 23.

142 سورة البروج، الآية 16.

143 سورة يونس، 107.

144 البخاري، الصحيح، كتاب الوضوء..

قال الطحاوي: وَاللهُ يَغْضِبُ وَيَرْضَى لا كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَى.

أي أن الله من صفاته الرضا والغضب، وهما صفتان أزليتان كعلمه وقدرته ومشيئته وسائر صفاته، ليس غضبه ورضاه كما يغضب المخلوق ويرضى، فإن غضب المخلوق مخلوق، لأن الصفة تتبع الذات، فنحن ذواتنا حادثة فصفاتنا حادثة كذلك، فغضبنا حادث وكذلك رضانا حادث، وأما الله فليس كذلك، بل غضبه صفة أزلية ورضاه صفة أزلية.

قال الطحاوي: وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَلا نُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلا نَتَبَرَأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ، وَبِغَيْرِ الخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ، وَلا نَذْكُرُهُمْ إِلا بِخَيْرٍ، وَحُبُّهُمْ دِيْنٌ وَإِيْمَانٌ وَإِحْسانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ، وَنِفَاقٌ، وَطُغْيَانٌ.

أي أنه يجب محبة أصحاب رسول الله، ونعتقد أن حبهم إيمان، وبغضهم كفر، ونفاق وطغيان.

وقوله: "وَلا نُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ" أي لا نصفهم بما ليس فيهم في التعظيم، بل نصفهم بما يستحقون، والإفراط في الشيء مجاوزة الحدّ.

وأما قوله: "وَلا نَذْكُرُهُمْ إلا بِخَيْرٍ" فمعناه أنه في الإجمال لا نذكرهم إلا بخير، وأما عند التفصيل فنذكر الأفراد على حسب صفاتهم للمقصد الشرعي، فليس معنى هذا الكلام أنه لا ينتقد أحد منهم، لا بل من ثبت عليه شيء ينتقد عليه.

قال الطحاوي: وَنُثْبِتُ الخِلافَةَ بَعْدَ رَسَوِلِ اللهِ ﷺ أَوَلاً لأَبِي بَكْرٍ الصِدِّيْقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تَفْضِيْلاً لَهُ وَتَقْدِيْماً عَلَى جَمِيْعِ الأُمَّةِ.

أي أنه يجب تفضيل أبي بكر ﷺ على سائر أصحاب رسول الله ﷺ، وذلك لأن

الصحابة أجمعوا على إمامته وبايعوه، وإجماعهم كآية من كتاب الله حجة موجبة للعلم قطعا، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُم أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُوْنُوْا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[145]، والوسط العدل المرضي، فلو لم تكن إمامته حقا كان منكرا ولم يتصور منهم المطابقة على إمامته ومبايعته، فمن طعن في إمامته فقد طعن في إجماعهم وصيرهم مبطلين فيكون ذلك طعنا في خبر الله تعالى، لأن الله قال: ﴿وَالسَّابِقُوْنَ الأَوَّلُوْنَ مِنَ المهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ وَالذِيْنَ اتَّبَعُوْهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوْا عَنْهُ﴾[146].

قال الطحاوي: ثُمَّ لِعُمَرَ بنُ الخَطَّابِ ﷺ، ثُمَّ لِعُثْمَانَ ﷺ ثُمَّ لِعَلِيِّ بنُ أَبِيْ طَاْلِبٍ ﷺ، وَهُمْ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُوْنَ، وَالأَئِمَةُ المَهْدِيُوْنَ.

يجب الإيمان بحقيقة خلافة الأربعة على حسب ترتيبهم في الخلافة لأن الصحابة بما فيهم علي ﷺ رضوا ذلك، ولا نعني بهذا أنه لا خليفة راشد في الأمة سوى الأربعة، بال الحسن بن علي الذي بايعه المسلمون خليفة راشد، وكذلك عمر بن عبد العزيز لكنهما أقل مرتبة من الأربعة.

قال الطحاوي: وَإِنَّ العّشَرَةَ الذِيْنَ سَمَّاهُم رَسُوْلُ اللهِ ﷺ وَبَشَرَهُمْ بِالجَنَّةِ نَشْهَدُ لَهُمْ بِالجَنَّةِ، عَلَى مَا شَهِدَ لَهُمْ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ وَقَوْلُهُ الحَقُّ، وَهُمْ: أَبُوْ بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَطَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرِ، وَسَعْدٍ، وَسَعِيْدٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَن بنُ عَوْفٍ، وَأَبُوْ عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ، وَهُوَ أَمِيْنُ هَذِهِ الأُمَّةِ، رَضِيَّ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِيْنَ. وَمَنْ أَحْسَنَ القَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَأَزْوَاجِهِ الطَاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَاتِهِ المُقَدَسِيْنَ مِنْ كُلِّ

---

145 سورة البقرة، الآية 143.

146 سورة التوبة، الآية 100.

رِجْسٍ، فَقَدْ بَرِيءَ مِنْ النِّفَاقِ.

أي أننا نشهد بالجنة للعشرة الذين بشرهم النبي ﷺ بالجنة كما جاء ذلك في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره[147]. أما أزواج النبي ﷺ اللاتي فُزنَ بعشرته فيجب تعظيمهن ومحبتهن كما يجب محبة الصحابة. والتقديس التطهير، والمعنى أنهم منزهون عما يشينهم، والرجس المذكور في قوله تعالى: ﴿لِيَذْهَبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ﴾[148] هو الشرك، وهذا الفضل شامل لأهل بيته.

قال الطحاوي: وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِيْنَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِيْنَ أَهْلَ الخَيْرِ وَالأَثَرِ، وَأَهْلَ الفِقْهِ وَالنَّظَرِ، لا يُذْكَرُوْنَ إِلاَّ بِالجَمِيْلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوْءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيْلِ.

ذلك لأن تعظيم هؤلاء وتوقيرهم من تعظيم الدين، وهم خلفاء الرسول ﷺ في تبليغ الشريعة إلى الناس فوجب توقيرهم وتعظيمهم واتباعهم، ولأن الله ندبنا إلى الدعاء والاستغفار لهم بقوله: ﴿وَالَّذِيْنَ جَاءُوْا مِن بَعْدِهِمْ يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِيْنَ سَبَقُوْنَا بِالإِيْمَانِ وَلا تَجْعَل فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِيْنَ آمَنُوا﴾[149]، فهذا هو سبيل المؤمنين أن يوالي بعضهم بعضا لحق الإيمان الذي جمعهم.

قال الطحاوي: وَلا نُفَضِّل أَحَدًا مِن الأَوْلِيَاءِ علَى أَحَدٍ مِن الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ وَنَقُولُ: نَبِيٌ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِن جَمِيْعِ الأَوْلِيَاءِ.

فهذا ردّ على من قال بتفضيل بعض الأئمة على الأنبياء، لأن ذلك باطل، لأن

---

147 أبو داود، السنن، باب في الخلفاء.

148 سورة الأحزاب، الآية 33.

149 سورة الحشر، الآية 10.

الولي إنما يستحق الولاية باتباعه النبي واقتدائه به في طاعة الله تعالى على شريعته، فيستحيل أن يكون أفضل منه أو مثله، قال تعالى بعد ذكر من الأنبياء: ﴿وَكُلاً فَضَّلْنَا عَلَى العَالَمِيْنَ﴾[150]، ولا يجوز تأويل الآية بأن المراد عَالَموا زمانهم، لأن هذا تأويل بلا دليل وهو ممنوع.

قال الطحاوي: وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِن رِوَايَاتِهِمْ.

يجب الإيمان بكرامات الأولياء، وهم المؤمنون المستقيمون بطاعة الله قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ قَالُوْا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوْا تَتَنَزَلُ عَلَيْهِمْ المَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوْا وَلاَ تَحْزَنُوْا وَأَبْشِرُوْا بِالجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوْعَدُوْنَ﴾[151]، ثم الكرامة هذه أمر خارق للعادة تظهر على يد المؤمن المستقيم بطاعة الله وبذلك تفترق عن السحر والشعوذة، وتفترق عن المعجزة بأن المعجزة تكون لإثبات النبوة، وأما الكرامة فتكون للدلالة على صدق اتباع صاحبها لنبيه.

والدليل على الكرامة ما جاء في القرءان من قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِيْ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ أَنَا ءَاتِيْكَ بِه قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَا رَءَاهُ مُسْتَقِراً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّيْ﴾[152]، وما ثبت بالإسناد الصحيح أن عمر بن الخطاب ﷺ نادى أمير الجيش الذي كان بنهاوند سارية بن زنيم: "يا سارية الجبل الجبل"، فسمع سارية وكان عمر بالمدينة يخطب، أخرجها الحافظ العسقلاني وحسّنها[153].

150 سورة الأنعام، الآية 86.
151 سورة فصلت، الآية 30.
152 سورة النمل، الآية 40.
153 العسقلاني، ابن حجر، الإصابة، ج2، ص3.

قال الطحاوي: وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ: مِنْ خُرُوجِ الدَّجَالِ، وَنُزُولِ عِيْسَى ابنُ مَرْيَمَ عَلَيهِ السَّلامُ مِنَ السَّمَاءِ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوْعِ الشَمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوْجِ دَابَّةِ الأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا.

الأشراط جمع شرط بمعنى العلامة، وأول هذه الأشراط على ظاهر ما ورد في مسلم خروج الدجال[154]، وهو حيّ منذ زمان رسول الله ﷺ إلى أن يخرج من الجزيرة التي حبس فيها.

ثم بعد خروج الدجال وإفساده في الأرض ينزل الله عيسى عليه السلام عند المنارة الشرقية بدمشق. ثم يخرج الله يأجوج ومأجوج في حياة عيسى، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوْجُ وَمَأْجُوْجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُوْنَ﴾[155]، ثم بعد ذلك بمدة يكون طلوع الشمس من مغربها كما جاء في البخاري ومسلم وغيرهما[156]. وخروج دابة الأرض ولم يرد في تعيين موضع خروجها حديث صحيح، قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوْا بِآيَاتِنَا لا يُوْقِنُوْنَ﴾[157].

قال الطحاوي: وَلا نُصَدِّقُ كَاهِنَا وَلا عُرَّافًا، وَلا مَنْ يَدَّعِيْ شَيْئاً يُخَالِفُ الكِتَابَ وَالسُنَّةَ وَإِجْمَاعَ الأُمَّةِ.

ذكر هنا بعض ما يجب رده وهو الكاهن والعراف ومن يدعي شيءا على خلاف القرءان والسنة وإجماع المسلمين، فالكاهن هو الذي يتعاطى الإخبار عن الكائنات في

154 الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الفتن وأشراط الساعة.

155 سورة الأنبياء، الآية 96.

156 الإمام البخاري، الصحيح، كتاب الرقائق. الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان.

157 سورة النمل، الآية82.

المستقبل اعتمادا على النظر في النجوم وعلى أسباب ومقدمات يستدلون بها أو غير ذلك، كالذين لهم أصحاب من الجن يأتونهم بالأخبار فيعتمدون على أخبارهم فيحدثون الناس بأنه سيحصل كذا. وأما العُرَّاف فهو الذي يخبر عن المسروقات ونحوها.

قال الطحاوي: وَنَرَى الجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَاباً.

مراده بالجماعة إجماع أهل الحق في مسألة دينية في الاعتقاد أو الفروع، ويحتمل أن يكون مراده بالجماعة طاعة الإمام الذي بايعه المسلمون، لأن الخروج على الإمام الذي صحت بيعته من الكبائر، قال رسول الله ﷺ: "من خلع يدا من طاعة لقي الله لا حجة له يوم القيامة، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية"[158].

قال الطحاوي: وَدِيْنُ اللهِ فِي الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَاحِدٌ، وَهُوَ دُيْنُ الإِسْلاَمِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّيْنَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾[159]، وقال تعالى: ﴿وَرَضِيْتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيْناً﴾[160].

أي أن الملائكة يدينون بالإسلام، وأن المؤمنين من أهل الأرض من إنس وجن يدينون بالإسلام، بدليل الآيتين الكريمتين اللتين استدلّ بهما المصنف رحمه الله.

قال الطحاوي: وَهُوَ بَيْنَ الغُلُوِ وَالتَّقْصِيْرِ، وَبَيْنَ التَّشْبِيْهِ وَالتَعْطِيْلِ، وَبَيْنَ الجَبْرِ وَالقَدَرِ، وَبَيْنَ الأَمْنِ وَاليَأْسِ.

---

158 الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة.

159 سورة آل عمران، الآية 19.

160 سورة المائدة، الآية 3

قوله: "وَهُوَ بَينَ الغُلُوِ وَالتَقْصِيْرِ" يعني أن الخروج إلى حد الطرفين وهما الغلو والتقصير خروج عن الاستقامة، والغلو هو المجاوزة عن الحد المجعول للعباد في الدين، والتقصير نزول عن الحد المجعول لهم، وكل واحد منهما مذموم وباطل لخروجهما عن العدل والحق.

وقوله: "وَبَينَ التَشْبِيْه والتَعْطِيْلِ" يعني به أن الإسلام الذي هو دين الله عزّ وجلّ هو إثبات الأسماء والصفات على ما جات به الكتب والرسل من غير تشبيه كما فعلت المشبهة، ولا تعطيل كما فعلت المعتزلة.

وقوله: "وَبَيْنَ الجَبْرِ وَالقَدَر" معناه أن الإسلام الذي هو دين الله هو التسليم لله عز وجل ولما جاء منه من غير جبر بإسقاط فعل والاكتساب عن العباد، ومن غير إثبات قدرة تخليق الأفعال للعباد.

وقوله: "وَبَيْنَ الأَمْنِ وَاليَأسِ" أن الإسلام الذي هو دين الله هو أن يكون العبد بين الخوف والرجاء، فهو حقيقة العبودية إذ في الأمن عما أوعد ظن العجز عن العقاب وفي الإياس من رحمته ظن العجز عن العفو، وهما ينقلان عن الملة، أي أن ذلك كفر.

قال الطحاوي: فَهَذَا دِيْنُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِراً وَبَاطِناً.

بين بذلك أنه لا بد من موافقة الظاهر الباطن، إذ المخالفة بين الظاهر والباطن من أوصاف المنافقين، واتحاد الظاهر والباطل في اعتقاد الحق دين الأنبياء والمؤمنين.

قال الطحاوي: وَنَحْنُ بَرَاء إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِيْ ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ.

ذلك لأن ما ذكره من أصول التوحيد وسائر فصول العقائد قامت على حقيقتها حجج الكتاب والسنة الواضحة وإجماع الأمة الهادية، وبراهين العقول المستقيمة التي هي شاهدة للشرع، وذلك مما اختص به الإسلام من بين الأديان لأنه لم يأت بشيء إلا والعقل شاهد له، أما سائر الأديان فعلى خلاف ذلك.

قال الطحاوي: وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الإِيْمَانِ وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ.

إنما سأل الثبات على الدين لأن ذلك من أهم أمور الدين. قال تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِيْ مِنَ الملْكِ وَعَلَّمْتَنِيْ مِنْ تَأْوِيْلِ الأَحَادِيْثِ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِيْ بِالصَّالِحِيْنَ﴾[161].

قال الطحاوي: وَيَعْصِمُنَا مِنَ الأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالآرَاءِ الْمُتَفَرِقَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَةِ مِثْلَ: الْمُشَبِّهَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالجَهَمِيَّةِ وَالجَبَرِيَّةِ وَالقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الَّذِيْنَ خَالَفُوْا السُنَّةَ وَالجَمَاعَةَ، وَحَالَفُوْا الضَّلاَلَةَ، وَنَحْنُ مِنْهُمْ بَرَاء وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلاَلٌ وَأَرْدِيَاءُ. وَبِاللهِ العِصْمَةُ وَالتَّوْفِيْقُ.

الأهواء جمع هوى وهو الأمر الباطل الذي تميل إليه النفوس، وقد يطلق الهوى بمعنى الحب. وذكر المؤلف المشبهة والجهمية والقدرية تأكيدا لما ذكره قبل هذا، لأن التحذير من هذه المذاهب مما فرض. ثم المشبهة قد مرّ تفسيرها، وأما الجهمية فهي طائفة منسوبة إلى جهم بن صفوان كان يقول: إن الله هو هذا الهواء مع كل شيء وعلى كل شيء،

161 سورة يوسف، الآية 101

هذا قوله الذي أظهره أخيرا، وكان يقول بفناء الجنة والنار.

وقوله: "وحالفوا الضلالة" أي لزموا، قال ابن عمر عن القدرية: "أبلغوهم أني بريء منهم وهم برءاء مني" رواه مسلم في الصحيح وغيره[162]. وقد شرح هذه العقيدة (أي العقيدة الطحاوية) شارح زائغ دعا فيها إلى الضلالة والكفر كاعتقاد أزلية العالم بنوعه.

162 الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان.

المصادر والمراجع

1. الهرري، الشيخ عبد الله. 1997م. إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية، دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، بيروت.

2. ـــــ 1992م. الغرة الإيمانية في رد مفاسد التحريرية، دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت.

3. ـــــ 2001م. التعقب الحثيث على من طعن فيما صح من الحديث، ، دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، بيروت.

4. جمعية المشاريع الخيرية، سيرة وإنجازات، من منشورات دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

5. مكي، الدكتور حسن، 1990م. السياسات الثقافية في الصومال الكبير، دار المركز الإسلامي الإفريقي للطباعة، الطبعة الأولى، الخرطوم.

6. عبد الحليم، الدكتور رجب محمد، 1980م. العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، القاهرة.

7. يحيى، الدكتور جلال،1959م. التنافس الدولي في بلاد الصومال، دار المعرفة، الطبعة الأولى، القاهرة.

8. عرب فقيه، شهاب الدين أحمد بن عبد القادر الجيزاني، 1990م. تحفة الزمان أو فتوح الحبشة، طبعة إيسيسكو.

9. دُعَاله، بوبي يوسف،1983م. ديوان أشعار عبد الله سلطان، مطبعة الحكومة، الطبعة الأولى، مقديشو.

10. إبراهيم، الدكتور عبد الله عبد الرازق، 1989م. المسلمون والاستعمار الأوربي لإفريقيا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.